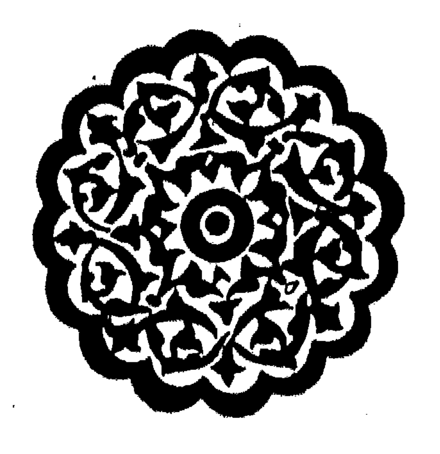
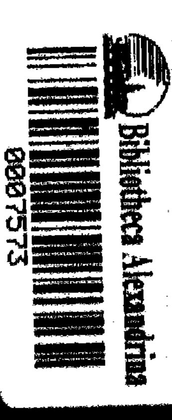
العلاّمة محمّد السّفاريني

أهوال يوم القيامة

وعلاماتها الكبرى





دار المنار
القاهرة


أهوال يوم القيامة
وعلاماتها الكبرى



أهوال يوم القيامة

وعلاماتها الكبرى

تأليف

العلامة محمد السفاريني

مؤسسة الكتب الثقافية

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مؤسسة الكتب الثقافية فقط

الطبعة الثانية

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



مؤسسة الكتب الثقافية
هاتف: ٣١٢٠١٧٠-٣١٢-٣١٥٧٥٩ / صندوق البريد: ١١٤-٥١١٥
برقياً: الكتبكو
بيروت - لبنان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم.

لعل من بين ما احتفظ الله ـ جل وعلا ـ بعلمه من الغيبيات، علم قيام الساعة وتوقيتها، إذ قال في كتابه الكريم: ﴿**إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...**﴾[1].

وكثيراً ما أورد الله تعالى ذكرها في العديد من الآيات وفي مواضع مختلفة، وكانت من بين ما سئل عنه رسول الله ﷺ في مواضع الجدل والتحدي مع المشركين، إذ قال سبحانه: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا. إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا. إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا. كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾[2].

وورد في شأن الساعة الكثير من الأحاديث النبوية والآثار، فقد روى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعاً: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى.

ولئن كان وقت مجيء الساعة مما تفرد الله بعلمه وأخفاه عن عباده، فهذا فيه صلاحهم لئلا يتباطؤوا من التأهب والاستعداد أملاً في طول الفرصة. أو ترك العمل يأساً من النجاة لقرب المحنة. ولكن من بين أحاديث الرسول ﷺ ما ينذر ويحذر بعلامات قريبة وأخرى بعيدة.

---

(١) سورة لقمان الآية (٣٤).

(٢) سورة النازعات الآيات (٤٢ ـ ٤٦).

وفي هذا الكتاب (أهوال يوم القيامة) يجد القارىء من علامات القيامة وأسرارها وأهوالها ما لم يجده في كتاب آخر لذا نقدمه إلى المكتبة الإسلامية حتى ينير الطريق للسالكين.. طريق الحق فيعلموا ما شرح الله صدورهم له من الثبات على الإيمان وليتقوا الله في البقية الباقية من أعمارهم وليستقيموا على أمر الله حتى ينجيهم الله سبحانه بفضله وبرحمته من تلك الأهوال الرهيبة التي لا يعلم كنهها ولا كيفيتها إلا الحق جلّ وعلا ـ ونسأله جلّ في علاه أن يصرف عنا خزي ذلك اليوم وأن يرحمنا ويتوفانا مسلمين ويجمعنا تحت ظل عرشه العظيم مع النبيين والصديقين والشهداء إنه سبحانه على ما يشاء قدير والحمد لله أولاً وآخراً.

أشراط الساعة
والنصوص المخبرة باقترابها

قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾[1] وقال: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[2] أي أماراتها وعلاماتها واحدها شرط.

النصوص المخبرة باقترابها:

قال الإمام البغوي وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة قال تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[3] وقال: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهِم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾[4] والآيات في ذلك كثيرة، وأما الأحاديث فلا تكاد تحصى.

فإن قيل كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عاماً؟ فالجواب أن الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقترب الأجل، ولا ريب أن أجل الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله، ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كغد الذي بعد يومك فقال: ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُم يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾[6].

---

(١) سورة القمر الآية (١).
(٢) سورة محمد الآية (١٨)
(٣) سورة الشورى الآية (١٧).
(٤) سورة الزخرف الآية (٦٦).
(٥) سورة الحشر الآية (١٨).
(٦) سورة المعارج الآيتان (٦ ـ ٧).

وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعاً «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل إحداهما على الأخرى.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت النبيﷺ قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام «بعثت والساعة كهاتين».

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس» ـ وفي لفظ ـ «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس».

ولما كان أمر الساعة شديداً وهولها مزيداً وأمرها بعيداً كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبيﷺ من بيان أشراطها وأماراتها وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة.

ثم اعلم أن وقت مجيء الساعة مما انفرد الله بعلمه وإنما أخفاه تعالى لأنه أصلح للعباد لئلا يتباطؤا عن التأهب والاستعداد كما أن إخفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن كونها ومجيئها واستدلوا بأحاديث غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صريحة، وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في جزء له سماه الكشف وذكر هو تقريباً أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أزيد.

قال الشيخ العلامة مرعي في (بهجة الناظرين) وهذا أيضاً مردود لأن كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان.

أشراط الساعة وأماراتها ثلاثة أقسام:

ثم اعلم أن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة، وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وأنها تتتابع كنظام خرزات انقطع سلكها.

الأولى ـ ما قد مضى وانقضى:

فالأولى: أعني التي ظهرت ومضت وانقضت (منها) بعثة النبيﷺ وموته وفتح بيت المقدس (ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال حذيفة أول الفتن قتل عثمان (ومنها) وقعة الجمل (ومنها) وقعة صفين فقد صح عن النبيﷺ أنه قال «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة» (ومنها) واقعة النهروان فأخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقلت يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة، الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين.

وفي رواية عنه: عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نقاتل مع عليّ الناكثين فقد قاتلناهم ـ يعني في وقعة الجمل وذلك لأن طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا بيعة علي رضي الله عنه ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين ـ يعني الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لأنهم ظلموا علياً ونازعوه أمراً هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق إلى الباطل ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين ـ وأراد بهم الخوارج فإنهم مرقوا من الدين.

وفي الخوارج أحاديث كثيرة جداً في الصحيحين وغيرهما (ومنها) نزول أمير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الإمام أبي محمد الحسن بن علي وأخي الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقد قال النبيﷺ «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» الحديث، شهد جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم سمعوا ذلك من النبيﷺ (ومنها) ملك بني أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من الأذية كقتل الحسين بعدما سم الحسن، وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق (ومنها) مُلك بني العباس وما جرى في أيامهم من المحن والبأس (ومنها) نار الحجاز التي

أضاءت منها أعناق الإبل ببصرى (ومنها) خروج كذابين دجالين كل منهم يدعي أنه نبي (ومنها) زوال ملك العرب رواه الترمذي (ومنها) كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما (ومنها) كثرة الزلازل والمسخ والقذف وغير ذلك مما أخبر عنه النبي ﷺ أنه من أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى.

الثانية ـ ما ظهر واستمر:

الأمارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزيد وتكثر وهي كثيرة جداً (منها) قوله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع» رواه الإمام أحمد والترمذي والضياء المقدسي من حديث حذيفة رضي الله عنه.. واللكع العبد والأحمق واللئيم.

والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس (ومن الأمارات) قوله ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذي عن أنس.

وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس رضي الله عنه وقوله ﷺ: «يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة» ـ وفي لفظ ـ «فساق» رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس (ومنها) أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقال لليلتين لانتفاخه وكبره روى معناه الطبراني عن ابن مسعود وفي لفظ «من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة» بالخاء المعجمة أي عظمها وروي بالجيم (ومنها) اتخاذ المساجد طرقاً.

(ومنها) ما أخرجه أبو نعيم في الحلية. عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة وأضاعوا الأمانة وأكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفوا بالدماء واستعلوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الأرحام ويكون الحلم ضعفاً والكذب صدقاً والحرير لباساً وظهر الجور وكثر الطلاق وموت الفجأة وائتمن الخائن وخون الأمين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظاً والولد غيظاً وفاض اللئام فيضاً وغاض الكرام غيضاً وكان الأمراء والوزراء خونة والعرفاء ظلمة والقراء فسقة، إذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة وتظهر الصفراء وتطلب البيضاء يعني الذهب والفضة وتكثر الخطباء ويقل الأمر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخربت القلوب وشربت الخمور وعطلت الحدود وولدت الأمة ربتها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكاً وشاركت المرأة زوجها في التجارة وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال وحلف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولاً ـ وهو بضم الدال المهملة وفتح الواو ما يتداول من المال ومعناه إذا اختص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال الفيء ومنعوها مستحقيها كما في النهاية ـ والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وكان زعيم القوم أرذلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذت القيان والمعازف وشربت الخمور في الطرق واتخذ الظلم فخراً وبيع الحكم وكثرت الشرط واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفافاً ـ أي بأن تجعل على السروج كما يفعله أمراء زماننا ـ ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات»

(ومنها) ما رواه الإمام أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سليمان موقوفاً والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعاً «إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسن واختلفت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» (ومنها) ما أخرجه الإمام أحمد أيضاً والحاكم

وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «إذا كانت الفاحشة في كباركم والملك في صغاركم والعلم في مرادكم والمداهنة في خياركم» يعني فتقرب إقامة الساعة.

وأخبار من هذه كثيرة جداً ذكرت منها طرفاً صالحاً في كتابي البحور الزاخرة في علوم الآخرة (منها) ما في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد».

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي قال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث وقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه: قال «أين السائل عن الساعة»؟ فقال ها أنا يا رسول الله قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال كيف إضاعتها؟ قال «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» والله أعلم.

الثالثة ـ العلامات الكبرى:

العلامات العظام والأشراط الجسام التي تعقبها الساعة وهي المقصودة في النظم والتي تكلم عليها أهل العلم وإليها الإشارة بقوله:

وما أتى في النص من أشراط فكله حق بلا شطاط

«وما» أي وما ورد عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا يسوغ رده الذي «أتى» أي ورد وجاء «في النص» القرآني أو الحديث النبوي «من أشراط» الساعة بأقسامها الثلاثة مما ذكرنا ومما لم نذكر والمراد بالساعة يوم القيامة وسميت الساعة

لقربها، أو لأنها تأتي بغتة (أو) في ساعة، أو لأن بعث الموتى من قبورهم يكون في أسرع من اللمحة، أو لأن فصل القضاء في ذلك اليوم في قدر ساعة.

ويروى عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة.

وتقدم أن الأشراط جمع شرط وأنها أماراتها وعلاماتها «فكله» أي الذي أتى في النص من أشراط الساعة وفي نسخة كلها أي الأشراط «حق» واقع ويقين ليس له مدافع «بلا شطاط» كسحاب وكتاب أي من غير طول وبعد يقال رجل شاط بين الشطاط والشطاطة والشطاط بالكسر وهو البعيد ما بين الطرفين وقرىء (ولا تشطط) ولا تشاطط أي لا تبعد عن الحق والمعنى أن الذي جاء في النص من أشراط الساعة حق كله لا بعد فيه ولا عقد ينافيه.

المهدي.

منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح

إن من أشراط الساعة التي وردت بها الأخبار وتواترت في مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهي أولها أن يظهر «الإمام» المقتدى بأقواله وأفعاله «الخاتم» للأئمة فلا إمام بعده كما أن النبيﷺ هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده «الفصيح» اللسان لأنه من صميم العرب أهل الفصاحة والبلاغة، والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني والبيان خلوص الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحة مفرداته، والفصاحة في المفرد خلوصه عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس، والفصاحة في المتكلم ملكة يقتدر معها على التعبير المقصود بلفظ فصيح، والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.

اسمه واسم أبيه:

وقوله «محمد المهدي» هذا اسمه وأشهرأوصافه ،فأما اسمه فمحمد جاء ذلك في عدة أخبار وفي بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبد الله فقد صح عن النبيﷺ أنه قال: «يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ولفظه أنهﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي

رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضاً «لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً» أخرجه الطبراني في معجمه الصغير، وأخرجه الترمذي ولفظه: «حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي». وقال: حديث حسن صحيح.

وكذلك أخرجه أبو داود في سننه. وروى ابن مسعود أيضاً رضي الله عنه رفعه: اسم المهدي محمد. وفي مرفوع حذيفة: محمد بن عبد الله ويكنى أبا عبد الله. ومن أسمائه أيضاً أحمد بن عبد الله كما في بعض الروايات.

لم قيل له المهدي:

وأما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبتت له هذه الصفة في عدة أخبار، وعن كعب الأحبار قال إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى أمر خفي وسيخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية. أخرجه نعيم في كتاب الفتن.

وفي بعض رواياته عن كعب قال إنما سمي مهدياً لأنه يهدي إلى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو إليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة.

وذكر الإمام أبو عمرو الداني قال إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم.

وأما لقبه فالجابر لأنه يجبر قلوب أمة محمد ﷺ ولأنه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم.

وأما كنيته فأبو عبد الله.

نسبه:

وأما نسبه فإنه من أهل بيت رسول الله ﷺ.

ثم ان الروايات الكثيرة والأخبار الغزيرة ناطقة إنه من ولد فاطمة البتول ابنة الرسول ﷺ ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين.

وجاء في بعض الأحاديث إنه من ولد العباس والأول أصح.

قال ابن حجر في كتابه القول المختصر وأما ما روي «أن المهدي من ولد العباس عمي». فقال الدارقطني حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد.مولى بني هاشم. قال: ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «ألا أبشرك يا عم أن من ذريتك الأصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدي في آخر الزمان ينشر الله الهدى ويطفىء نيران الضلالة إن الله فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم» وخبر هيثم بن كليب وابن عساكر عن ابن عباس ورجاله ثقات: «اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثاً يا عم أما علمت أن المهدي من ولدك موفقاً راضياً» وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ألا أبشرك يا أبا الفضل إن الله عز وجل افتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختم» وخبر الديلمي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ إنه قال: «لن تزال الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها إلى الدجال» وخبر الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل رضي الله عنهم «يا عباس أنت عمي وصنو أبي وخير من أخلف بعدي من أهلي إذا كانت خمس وثلاثون ومائة فهي لك ولولدك ومنهم السفاح والمنصور ومنهم المهدي» وخبر الخطيب وابن عساكر عن علي رضي الله عنه أنه ﷺ قال للعباس «يا عم ألا أخبرك أن الله افتتح هذا الأمر بي ويختمه بولدك» فهذه الأخبار كلها لاتنافي أن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ من ولد فاطمة الزهراء لأن الأحاديث التي فيها أن المهدي

من ولدها أكثر وأصح بل قال بعض حفاظ الأُمة وأعيان الأئمة أن كون المهدي من ذريته ﷺ مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الالتفات إلى غيره.

وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من ذريته ﷺ وللعباس فيه ولادة من جهة أن في أمهاته عباسية.

والحاصل أن للحسن في المهدي الولادة العظمى لأن أحاديث كونه من ذريته أكثر وللحسين فيه ولادة أيضاً وللعباس فيه ولادة أيضاً ولا مانع من اجتماع ولادات متعددات في شخص واحد من جهات مختلفة وبالله التوفيق.

فوائد في شأن المهدي

الأولى - حليته وصفته:

(منها) في حليته وصفته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المهدي اسمه محمد بن عبد الله وهو رجل ربعة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الأمة كل كرب ويصرف بعدله كل جور..

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يرضى في خلافته أهل الأرض والسماء والطير في الجو يملك عشرين سنة» أخرجه أبو نعيم في مناقب المهدي والطبراني في معجمه.

وأخرج أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين».

وأخرج أبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليبعثن الله في عترتي رجلاً أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الأرض عدلاً ويفيض المال فيضاً» وفي مرفوع عمران بن حصين أنه حين ذكره رسول الله ﷺ قال يا رسول الله كيف لنا بهذا حتى نعرفه؟ قال: «هو رجل من ولدي كأنه من رجال بني إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان كأن في وجهه الكوكب الدري في اللون في خده الأيمن خال أسود ابن أربعين سنة» أخرجه الإمام أبو عمرو الداني في سننه. وأخرج أبو نعيم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً «المهدي من ولدي ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بني إسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الترك».

وفي حديث أبي وائل عن علي رضي الله عنه قال نظر إلى الحسن وقال إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يخرج على حين غفلة من الناس وإماتة الحق وإظهار الجور يفرح بخروجه أهل السماء وسكانها، وهو رجل أجلى الجبين أقنى الأنف ضخم البطن أزيل الفخذين بفخذه الأيمن شامة أفلج الثنايا يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وعن أبي جعفر محمد الباقر قدس الله سره قال: سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن صفة المهدي قال: هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه.

وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه إن المهدي كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال أقنى أجلى في كتفه علامة النبي ﷺ.

وفي بعض الروايات المهدي أزج أبلج أعين يجيىء من الحجاز حتى

يستوي على مسجد دمشق. أخرجه أبو نعيم.

وفي رواية لأبي نعيم بكتفه اليمنى خال.

وفي حديث علي مرفوعاً إنه كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال وفي كتفه علامة.

وقال كعب الأحبار إني لأجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء مافي حكمه ظلم ولا عيب.

أخرجه أبو عمرو المقري في سننه ونعيم بن حماد.

وأخرج أبو نعيم عن طاووس قال علامة المهدي انه يكون شديداً على العمال جواداً بالمال رحيماً بالمساكين.

ورأيتني قد وصفته في كتابي البحار الزاخرة بأنه آدم أي أسمر، ضرب من الرجال أي خفيف اللحم، ممشوق مستدق، ربعة أي لا بالطويل ولا بالقصير، أجلى الجبهة أي خفيف شعر النزعتين عن الصدغين وهو الذي انحسر الشعر عن جبهته، أقنى الأنف أي طويله مع دقة أرنبته، أشم أي رفيع العرنين، أزج أي حاجبه فيه تقويس مع طول في طرفه أو امتداده، أبلج أعين أكحل العينين واسع العين والكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة من غير اكتحال، براق الثنايا أي لثناياه بريق ولمعان، أفرقها أي ليست متلاصقة أزيل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدهما.

وفي رواية في لسانه ثقل وإذا أبطأ عليه ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى، ابن أربعين سنة ـ وفي رواية ما بين ثلاثين إلى أربعين ـ خاشع لله خشوع النسر بجناحيه عليه عباءتان قطوانيتان.

قال في النهاية هي عباءة بيضاء قصيرة الخمل والنون زائدة.

الثانية ـ سيرته:

قال أهل العلم يعمل بسنة النبي ﷺ لا يوقظ نائماً، ويقاتل على السنة لا يترك سنةً إلا أقامها ولا بدعَة إلا رفعها، يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي ﷺ أوله، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد إلى المسلمين إلفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يحثو المال حثواً ولا يعده عداً، يقسم المال صحاياً بالسوية، يرضى عنه الطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر، يملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنى حتى إنه يأمر منادياً ينادي: ألا من له حاجة في المال؟ فلا يأتيه إلا رجل واحد فيقول أنا فيقول إئت السادن ـ أي الخازن ـ فقل له المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً فيقول له احث حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم فيقول كنت أجشع أي أحرص أمة محمد ﷺ أعجز عني ما وسعهم؟ قال فيرده فلا يقبل منه فقال له إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه الأمة..

تنعم أمة محمد برها وفاجرها في زمانه نعمة لم يسمعوا بمثلها قطوترسل السماء عليهم مدراراً لا تدخر شيئاً من قطرها، وتؤتى الأرض أكلها لا تدخر عنهم شيئاً من بذرها، تجري على يديه الملاحم، يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بين الخافقين، يؤتى إليه بملوك الهند مغللين وتجعل خزائنهم لبيت المقدس حلياً، يأوي إليه الناس كما يأوي النحل إلى يعسوبه حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته، ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد، وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئاً، ويزرع الإنسان مداً فيخرج له سبعمائة مد، ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر، وتطول الأعمار وتؤدى الأمانة وتهلك الأشرار ولا يبقى من يبغض آل محمد ﷺ، محبوب ـ يعني المهدي ـ في الخلائق يطفىء الله به الفتنة العمياء وتأمن الأرض حتى أن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل ولا يخفن شيئاً إلا الله، مكتوب في شعائر الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب.

الثالثة ـ علامات ظهوره:

قال العلامة الشيخ مرعي في كتابه (فوائد الفكر في المهدي المنتظر) إعلم أن لظهور المهدي علامات جاءت بها الآثار ودلت عليها الأحاديث والأخبار، فمن علامات ظهوره على ما ورد كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بذي القعدة وظهور الخسف والفتن، ومعه قميص رسول الله ﷺ وسيفه، ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله ﷺ ولا تنشر حتى يخرج المهدي مكتوب على رأسها «البيعة لله» كذا في الإشاعة للعلامة السيد محمد البرزنجي المدني، ويغرس قضيباً يابساً في أرض يابسة فيخضر ويورق، ويطلب منه آية فيومي إلى طير في الهواء بيده فيسقط على يده وينادي مناد من السماء: أيها الناس إن الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم وولاكم خير أمة محمدﷺ فالحقوه بمكة فإنه المهدي واسمه محمد بن عبد الله، وتخرج الأرض أفلاذ كبدها مثل الأسطوانات من الذهب ويخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله. رواه أبو نعيم عن علي رضي الله عنه.

ويستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية أو من بحيرة طبرية فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس فإذا نظر إليه يهود أسلموا إلا قليل منهم، وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون إليه البيعة، وتنشف الفرات عن جبل من ذهب.

وذكروا أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف.

ونظر هذا الشيخ مرعي بأن العادة انكساف القمر ليالي الأبدار والشمس أيام الإسرار، ولكن من الممكن أن يكون ذلك آية لظهوره وفيها خرق للعادة.

وروى أبو نعيم في الفتن قال شريك بلغني أن القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان.

وذكر الكساني عن كعب الأحبار أن القمر ينكسف ثلاث ليال متواليات.

وروي عن كعب الأحبار يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضيء كما يضيء القمر ينعطف حتى يلتقي طرفاه أو يكاد.

وفي الديلمي مرفوعاً تكون هذه في رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان. .

ومن علامات المهدي أيضاً خسف قرية ببلاد الشام يقال لها حرستا كما في الإشاعة وغيرها.

الرابعة ـ بعض ما يسبقه من الفتن:

(في الإشارة إلى بعض الفتن الواقعة قبل خروج المهدي وخروج خوارج قبل ذلك).

(منها) ما ذكره في الإشاعة أنه يحسر الفرات عن جبل من ذهب كما تقدم فإذا سمع به الناس ساروا إليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة يقتتلون عنده ثم لا يصير إلى أحد منهم فيقول كل واحد والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكله فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون، وفي رواية فيقتل تسعة أعشارهم، وفي رواية من كل تسعة سبعة، فيقول كل رجل لعلي أكون أنا أنجو.

وقد قال ﷺ «من حضر فلا يأخذ منه شيئاً».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من حضر فلا يأخذ منه شيئاً».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذاباً كلهم يقول أنا نبي».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبعث

دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله» رواه مسلم في صحيحه، ورواه البخاري بمعناه.

وتمام الحديث في مسلم «وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج» وهو القتل (الحديث).

وهو في صحيح البخاري إلا أن قوله وتكثر الزلازل في البخاري دون مسلم.

وفي مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابين» زاد في طريق أخرى قال جابر فاحذروهم.

وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر لا يظهر المهدي إلا على خوف شديد من الناس وزلزال وفتنة وبلاء يصيب الناس والطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وتشتت في دينهم وتغيير في حالهم حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً من عظيم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضاً فحينئذ يخرج فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره.

وقال محمد بن الصامت قلت للحسين بن علي رضي الله عنهما أما من علامة بين يدي هذا الأمر - يعني ظهور المهدي - قال: بلى، قلت وما هي قال: هلاك بني العباس وخروج السفياني والخسف بالبيداء. قلت جعلت فداك أخاف أن يطول هذا الأمر، فقال إنما هو كنظام يتبع بعضه بعضاً.

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: تكون في الشام رجفة يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على المنافقين فإذا كان كذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجوع الأكبر والموت الأحمر فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فإذا كان ذلك فانظروا خروج المهدي.

خروج السفياني:

ومن أقوى علامات خروج المهدي خروج من يتقدمه من الخوارج السفياني والأبقع والأصهب والأعرج والكندي.

أما السفياني فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عتبة، قال العلامة الشيخ مرعي في فوائد الفكر وفي عقد الدرر أن السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان ملعون في السماء والأرض وهو أكثر خلق الله ظلماً.

قال علي رضي الله عنه: السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة بوجهه أثر جدري بعينه نكتة بياض يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان ويخرج إليه رجل من أهل بيتي في الحرم فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا جاز ببيداء من الأرض خسف بهم فلا ينجو إلا المخبر عنهم.

أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

خروج الأبقع والأصهب:

والأبقع يخرج من مصر، والأصهب يخرج من بلاد الجزيرة، ثم يخرج الجرهمي من الشام.

قال كعب الأحبار: أول من يخرج ويغلب على البلاد الأصهب يخرج من بلاد الجزيرة، ثم يخرج من بعده الجرهمي من الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن.

قال كعب: فبينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم وإذا قد خرج السفياني من دمشق من واد يقال له وادي اليابس يؤتى في منامه فيقال له قم فاخرج فيقوم فلا

يجد أحداً ثم يؤتى الثانية ثم الثالثة ويقال له فيها فانظر إلى باب دارك فينحدر في الثالثة إلى باب داره فإذا بسبعة أنفار أو تسعة معهم لواء فيقولون نحن أصحابك ومع رجل منهم لواء معقود لا يرى ذلك اللواء أحد إلا انهزم فيخرج إليه صاحب دمشق ليقاتله فإذا نظر إلى رايته انهزم فيدخل دمشق الشام في ثلثمائة وستين راكباً وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفاً من كلب وهم أخواله وعلامة خروجه خسف بقرية حرستا ويسقط جانب مسجدها الغربي، ثم يخرج الأبقع والأصهب فيخرج السفياني من الشام والأبقع من مصر والأصهب من جزيرة العرب.

خروج الأعرج الكندي:

ويخرج الأعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة ثم يغلب السفياني على الأبقع والأصهب ويسير صاحب الغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة في قيس إلى السفياني فيظهر السفياني عليه ويحوز ما جمعوا من الأموال ويظهر على الرايات الثلاث ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد في الأرض ويدخل الزوراء فيقتل من أهلها.

خروج الحارث والمنصور:

ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال لـ: المنصور يمكن لآل محمد واجب على كل مؤمن نصره.

وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو الهاشمي الآتي ذكره ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر ويحتمل أن يكون غيره.

ويثور أهل خراسان بعساكر السفياني فتكون بينهم وقعات فإذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلاً من بني هاشم بكفه اليمنى خال سهل الله أمره وطريقه هو أخو المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بآخر المشرق بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار وهي غير رايات بني العباس على مقدمته رجل من بني تميم الموالي ربعة أصفر قليل اللحية كوسج.

ذكر شعيب بن صالح:

واسمه شعيب بن صالح التميمي يخرج إليه في خمسة آلاف فإذا بلغه خروجه صيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسي لهدها يمهد الأرض للمهدي فيلتقي الهاشمي بخيل السفياني فيقتل منهم مقتلة عظيمة ببيضاء اصطخر حتى تطأ الخيل الدماء إلى ارساغها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله أنصاره وجنوده ثم يجتمع مع المهدي ويبايعه وبالله التوفيق.

الفائدة الخامسة في أحوال المهدي:

أخرج نعيم بن حماد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبيﷺ واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس.

وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقري في معجمه: يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة.

بيعته وما يتصل بها:

وأما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء، وإذا هاجر المهدي من المدينة إلى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتصير مأوى للوحوش، وقد ورد: عمران بيت المقدس خراب يثرب.

وفي حديث قتادة: يخرج المهدي من المدينة إلى مكة.

وفي حديث ابن عباس: يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا.

وفي خبر أبي جعفر: يظهر المهدي بمكة عند العشاء.

وفي الخبر: يبعث السفياني جيشاً إلى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون ويتفرقون هاربين إلى البراري والجبال حتى يظهر أمر المهدي بمكة فإذا ظهر اجتمع كل من شذ منهم إليه بمكة ويأتي سبعة علماء من آفاق شتى على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم

لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن وتفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه ـ ولم نقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع ولعلهم يعرفون اسم أمه بالكشف كما ذكره في الإشاعة فيقف السبعة على ذلك ـ فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون أنت فلان؟ فيقول بل أنا رجل من الأنصار، فينفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة، وهكذا ثلاث مرات، فيصيبونه بمكة في الثالثة عند الركن فيقولون: إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك، وقد أقبل عسكر السفياني في طلبنا، فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له فيلقي الله محبته في قلوب الخلق فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل.

أخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وأخرج أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يبعث المهدي بعد أياس حتى يقول الناس لا مهدي وأنصاره من أهل الشام عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً عدد أصحاب بدر يسيرون إليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبايعوه كرهاً فيصلي بهم ركعتين عند المقام.

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائماً ولا يهرق دماً. والله أعلم.

وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدي وقد ذكر العلماء أن أول ظهوره يكون شاباً ثم يخاف على نفسه من القتل فيفر إلى مكة مختفياً ثم يرجع إلى مكة فيرونه بالمطاف عند الركن فيقهرونه على المبايعة بالإمامة ثم يتوجه إلى المدينة ومعه المؤمنون ثم يسيرون إلى جهة الكوفة ثم يعود منهزماً من جيش السفياني فيخرج الله على السفياني من أهل المشرق وزير المهدي فيهزم السفياني إلى الشام فيقصده المهدي فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبح الشاة ويغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بني كلب ولا أكثر من تلك الغنيمة.

وفي رواية إنه يخرج رجل من كلب يقال له كنانة بعينه كوكب في رهطمن قومه حتى يأتي الصخري يعني السفياني فيبعث إليه المهدي راية وأعظم راية في زمانه

مائة رجل فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها فإذا تسامتت الخيلان ولت كلب أدبارها فيقتلونهم ويسبونهم حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم ويؤخذ الصخري فيؤتى به أسيراً إلى المهدي فيذبح على الصخرة المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي ببطن الوادي على درج طور زيتا المقنطرة التي على الوادي كما تذبح الشاة.

وفي رواية ثم يؤخذ عروة السفياني على أعلى شجرة على بحيرة طبرية - قال ﷺ «والخائب يومئذ من خاب من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة والخائب من خاب يومئذ من غنيمة كلب ولو بعقال» فقال حذيفة يا رسول الله كيف يحل قتلهم وتغنم أموالهم وهم مسلمون؟ فقال ﷺ «يكفرون باستحلالهم الخمر والزنا».

وفي الحديث: لا تحشر أمتي حتى يخرج المهدي يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة ويخرج إليه الأبدال من الشام والنجباء من مصر وعصائب أهل الشرق حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام ثم يتوجه إلى الشام وجبريل على مقدمته وميكائيل على يساره ومعه أهل الكهف أعوانه له فيفرح به أهل السماء والأرض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه في دولته وتمتد الأنهار وتضعف الأرض أكلها فيقدم إلى الشام فيأخذ السفياني فيذبح تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية».

والذي يظهر في الجمع بين روايات ذبح السفياني أنه يذبح تحت الشجرة هو أو وزيره والذي يذبح على العتبة هو نفسه إن كان المذبوح تحت الشجرة وزيره أو وزيره إن كان هو المذبوح.

ثم تمهد الأرض للمهدي ويدخل في طاعته ملوك الأرض كلهم ويبعث بعثاً إلى الهند فتفتح ويؤتى بملوك الهند إليه مقفلين وتنقل خزائنها إلى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس ويمكث في ذلك سنين.

مدة ملك المهدي:

وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمساً أو سبعاً أو ستاً ـ بالترديد ، وفي بعضها: تسع عشرة سنة أو شهراً، وفي بعضها: عشرين، وفي بعضها: ثلاثين، وفي بعضها أربعين منها تسع سنين يهادن الروم فيها.

ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الأكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البيعة والأقل على غاية الظهور والأوسط على الأوسط، قال في الإشاعة: وهذا الذي تقتضيه بشارة النبيﷺ بالمهدي وإن الله تعالى يعوضهم عن الظلم والجور قسطاً وعدلاً، واللائق بكرم الله تعالى أن تكون مدة ذلك بقدر ما ينسون فيها الظلم والجور والفتن، والسبع والتسع أقل من ذلك مع أنه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الأفاق كما في بعض الروايات ويبني المساجد والبلدان ويحلي بيت المقدس، وهذا يقتضي مدة طويلة مع ما ورد أن الأعمار تطول في زمانه فطولها مستلزم لطول مدته والتسع ونحوها ليست من الطول في شيء ولا سيما مهادنته للروم تسع سنين ثم فتح القسطنطينية ورومية المدائن وغيرهما وهذا يقتضي طول مدته وبالله التوفيق.

تنبيه في أن المهدي غير عيسى:

قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي إلا عيسى والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم.

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبيﷺ: «يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه ويظهر الإسلام ولا يخلف الله وعده وهو سريع الحساب».

أخرجه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، وأخرج نحوه أبو عمرو المقري من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ومن حديث قيس بن جابر عن أبيه عن جده مرفوعاً وفيه: «ثم يخرج المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

رواه أبو نعيم في فوائده وأخرجه الطبراني في معجمه، ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم ومن حديث ابن عباس أخرجه ابن الجوزي في تاريخه، ومن حديث علي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في سننهم.

وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة وكذا عند أهل الشيعة أيضاً لكنهم زعموا أنه محمد بن الحسن العسكري كما تقدم.

قول الإمامية والكيسانية:

وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد ابن الحنفية وأنه حي مقيم بجبل رضوى وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل فزعموا أنه دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر، قالوا وهم أحياء يرزقون ويقولون أنه يعود بعد الغيبة ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، قالوا وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان وقيل إلى يزيد بن معاوية.

وإلى هذا الاعتقاد أشار كثير عزة بقوله:

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً ... برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل:

ألا قل للإمام فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما

وجبل رضوى بفتح الراء وبعدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف كسكرى هو جبل جهينة في عمل الينبع بينهما مسيرة يوم واحد وهو من المدينة على سبع مراحل وميامنه طريق المدينة ومياسره طريق البر لمن كان مصعداً إلى مكة وهو على ليلتين إلى البحر، وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي الخبيث المشهور يدعو إلى إمامة محمد ابن الحنفية رضي الله عنه وعن أبيه علي بن أبي طالب وكان المختار يزعم أن محمداً هذا هو المهدي، قال الجوهري في الصحاح كيسان لقب المختار المذكور.

واقتصر عليه في القاموس أيضاً، وقال غيرهما كيسان مولى علي رضوان الله عليه.

وقيل إن كيسان تلميذ علي، وهؤلاء الكيسانية إحدى فرق الضلال كما مر في تعداد الفرق فعلى عقولهم الدمار وعلى أفعالهم البوار ما أضل علومهم وأبلد فهومهم. وبالله التوفيق.

تنبيه ـ للمهدي فضل دون فضل الصحابة:

جاء عن ابن سيرين أن المهدي خير من ابي بكر وعمر.

وجاء عنه أيضاً لا يفضل عليه أبو بكر وعمر، وهو وإن كان أخف من الأول فليس بصحيح فإن الأمة مجتمعة على أفضليتهما عليه بل وعلى جميع الصحابة، كما سيأتي بيان ذلك بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي.

ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يسلم الأمر لروح الله عيسى ابن مريم عليه السلام ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهي صلاة الفجر ثم يستمر المهدي على الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الأمر إليه ثم يموت المهدي ويصلي عليه روح الله عيسى ويدفنه في بيت المقدس، وبمقتضى ما مر يعلم قدر سنه لأنه يخرج ويبايع له وهو ابن أربعين أو خمسة وثلاثين وتقدم الخلاف في مدة ملكه والله تعالى أعلم.

خاتمة ـ ما قيل أن المهديين ثلاثة:

أخرج أبو نعيم عن الوليد بن مسلم قال: سمعت رجلاً يحدث قوماً فقال: المهديون ثلاثة، مهدي إلى الخير عمر بن عبد العزيز، ومهدي الدم وهو الذي يسكن على يديه الدماء، ومهدى الدين عيسى ابن مريم عليه السلام.

وأخرج أيضاً عن كعب قال: مهدي الخير بعد السفياني.

وأخرج أيضاً عن أرطاة قال: بلغني أن المهدي يعيش أربعين عاماً ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرون سنة ثم يموت قتلاً بالسلاح، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبيﷺ مهدي حسن السيرة يغزو مدينة قيصر وهو آخر أمير من أمة محمدﷺ يخرج في زمانه الدجال وينزل عيسى ابن مريم.

ونقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر عن أبي الحسن محمد بن الحسين أنه قال قد تواترت الأحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيتهﷺ وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه. يعني صلاة واحدة وهي الفجر كما مر وبالله التوفيق.

• الدجال:

وما أدراك ما الدجال منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن والأوجال قد أنذرت به الأنبياء قومها وحذرت منه أممها ونعتته بالنعوت الظاهرة ووصفته بالأوصاف الباهرة وحذر منه المصطفى وأنذر ونعته لأمته نعوتاً لا تخفى على ذي بصر.

ما جاء في صفته:

وقد قيل إنه صافي بن صياد أو صائد وان مولده المدينة كما في الحديث الوارد، وقيل بل هو شيطان موثق في بعض الجزائر أو أنه من أولاد شق الكاهن أو هو شق نفسه وأن أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها إياه وكانت الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا القول ليس بصائب وقال كعب الأحبار: الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر بين مولده وخروجه أربعون سنة.

وفي الترمذي أنه يخرج من خراسان.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة».

وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «يخرج الدجال من يهود أصبهان ثم يخلق له عين[1] والأخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوي في

---

(١) انظر المستدرك ج ٤ ص ٥٢٨.

الشمس سمكاً ويتناول الطير من الجو له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب».

ومن حليته أنه شاب وفي رواية شيخ وبسندهما صحيح جسيم أحمر وفي رواية أبيض أمهق وفي رواية آدم، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري يمكن أن تكون أدمته صافية وقد يوصف ذلك بالحمرة لأن كثيراً من الأدم قد تحمر وجنتاه، جعد الرأس قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية، وفي رواية: أعور العين اليسرى، وجاء في رواية انه أعور العين مطموسة وليست جحراء. وهذا معنى طافئة مهموزة، قال في فتح الباري نقلاً عن القاضي عياض: الذي رويناه عن الأكثر وصححه الجمهور وجزم به الأخفش طافية بغير همز ومعناه أنها ناتئة نتوء العنبة، قال وضبطه بعض الشيوخ بالهمزة وأنكره بعضهم، قال ولا وجه لإنكاره، ثم جمع القاضي بين الروايات بأن عينه اليمنى طافية بغير همزة[1] وممسوحة أي ذهب ضوؤها وهو معنى حديث أبي داود مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء أي ليست بعالية ولا عميقة كما في الرواية الأخرى عنه وهي الجاحظة التي كأنها كوكب وكأنها نخاعة في حائط وهي الخضراء كما جاء في الأحاديث، قال وعلى هذا فهو أعور العينين معاً فكل واحدة من عينيه عوراء وذلك أن العور العيب والأعور من كل شيء المعيب وكلتا عيني الدجال معيبة إحداهما بذهاب نورها والأخرى بنتوئها وخضرتها.

قال الإمام النووي وهذا في غاية الحسن. انتهى.

وقد ورد أن على عينيه ظفرة غليظة وهي لحمة تنبت عند الماق وقيل لحمة تخرج في العين في الجانب الذي على الأنف وهما متقاربان.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وقد ورد في كلتا عينيه أي عليهما ظفرة، وفي بعض الروايات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند الإمام أحمد: جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري.

وفي حديث أبي رضي الله عنه عند الإمام أحمد أيضاً والطبراني: إحدى عينيه

---

(١) انظر فتح الباري ج ١٣ ص ٨٦.

كأنها زجاجة خضراء، قال والذي يتحصل من مجموع الأخبار أن الصواب في طافية بغير همزة وصرح في حديث عبد الله بن معقل وسمرة وأبي بكرة رضي الله عنهم بأن عينه اليسرى ممسوحة، والطافية غير الممسوحة، وأما الظفرة فجائز أن تكون في كل من عينيه لأنه لا ينافي الطمس ولا النتوء أو تكون التي ذهب ضوؤها هي المطموسة يعني اليسرى والمعيبة مع بقاء حدقتها هي البارزة، انتهى.

ومن أوصاف الدجال أنه قصير أفحج كما في سنن أبي داود وعنه ﷺ أنه قال: «إن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين» - أي متباعد ما بين الساقين وقيل هو التداني ما بين صدور القدمين مع تباعدهما وقيل هو الذي في رجليه اعوجاج - «جفال الشعر» - بضم الجيم وتخفيف الفاء أي كثيره - «هجاء» بكسر أوله وتخفيف الجيم - «أبيض» - «أقمر» - أي شديد البياض - «ضخم فيلماني» - بفتح الفاء وسكون التحتية أي عظيم الجثة قال ابن الأثير في نهايته في صفة الدجال أقمر فيلم وفي رواية فيلمانياً الفيلم العظيم الجثة والفيلم الأمر العظيم والياء زائدة والفيلماني منسوب إليه بزيادة الألف والنون للمبالغة، انتهى.

«كأن رأسه أغصان شجرة» - أي شعر رأسه كثير متفرق قائم، وفي رواية «أن رأسه من ورائه حبك أي شعر منكس من الجعود كالماء الساكن والرمل إذا هبت عليهما الريح»، قال في النهاية وهذا معنى ما مر أنه جعد قطط - «مكتوب بين عينيه ك ف ر» - حروفاً مقطعة - «يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب» - «ولا يقرؤها الكافر» «لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة وسبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم التيجان وكلهم ذو سيف محلي».

ومن صفاته أيضاً أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه امرأة فرضاخية أي كثيرة اللحم طويلة الشفتين.

وقال في النهاية وفي حديث الدجال وأن أُمه فرضاخية أي ضخمة عظيمة الثديين يقال رجل فرضاخ وامرأة فرضاخة والتاء للمبالغة له أي الدجال حمار وهو المشعر الغليظ يعني كثير الشعر - ما بين أذنيه أربعون ذراعاً يضع خطوه عند منتهى طرفه.

وقال أبو الطفيل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: يخرج الدجال على حمار رجس. رواه ابن أبي شيبة.

وقال علي رضي الله عنه: يخرج الدجال ومعه سبعون ألفاً من الحاكة ـ زعم بعضهم أن الحاكة اسم موضع ـ على مقدمته أشعر ـ أي رجل كثير الشعر ـ يقول بدو بدو. وهذا لفظ فارسي معناه أسرع أسرع.

وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن النبي ﷺ «أن الدجال عريض المنخر فيه رفاً» أي انحناء.

وفي صحيح مسلم من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» وفي رواية «أمر أكبر من الدجال».

قيل إنه شيطان لا إنسان:

واعلم أن العلماء قد اختلفوا في الدجال فقيل إنه ليس بإنسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو غيره فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة وإذا أبرز أتته أتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعاً فيضع على ظهرها منبراً من نحاس فيقعد عليه وتتبعه قبائل الجن يخرجون إليه بخزائن الأرض وأول خروجه يدّعي الإيمان والصلاح ويدعو إلى الدين فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك، ثم يدّعي الألوهية فيقول أنا الله فتتغشى عينه وتقطع أذناه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الإيمان. هكذا رواه الطبراني.

وقال كعب الأحبار: يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي ابتداء قبل خروجه، ثم يلتمس فلا يقدر عليه ثم يرى عند المياه التي عند نهر الكسوة فيطلب فلا يدري أين توجه، ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعي النبوة فينصرف الناس عنه يعني المسلمين فيأتي النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره

أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس ـ الحديث. رواه نعيم بن حماد. ويبعث الله له شياطين فيقولون له استعن بنا على ما تريد فيقول لهم نعم اذهبوا للناس فقولوا أنا ربهم فيبثهم في الآفاق ويدعي الألوهية، ويخرج من أرض المشرق من نواحي خراسان ومعه اليهود من أصبهان وغيرها، وقيل إنه يخرج من يهودية أصبهان كما تقدم، وقيل من كوثا بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب.

وفي الترمذي أنه يخرج من خراسان.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبيﷺ «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة».

عظم فتنته:

وفي الطبراني يخرج الدجال من قبل اصبهان المشرق معه قومه وجوههم كالمجان فيفتتن الناس به فتنة عظيمة ففي الحديث: ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال وما من نبي إلا وحذر قومه الدجال ـ الحديث رواه الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً.

وفي الحديث أن قبل خروجه ثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والسنة الثالثة تمسك السماء فيها ويهلك كل ذي ضرس وظلف، ويسير ومعه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء، وأحدهما فيه دخان، فيقول هذه الجنة وهذه النار. رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعاً.

وعن حذيفة أن معه جنة وناراً ورجالاً يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل ثريد ونهر ماء.

وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ «الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار».

وعنه قال: قال رسول اللهﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران

يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج، فأما إن أدرك ذلك أحد منكم فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب».

وعنه عن النبيﷺ أنه قال في الدجال: «إن معه ماء وناراً، فناره ماء بارد، وماؤه نار، فلا تهلكوا».

قال أبو مسعود وأنا سمعته من رسول اللهﷺ.

كل هذه الروايات في صحيح مسلم واتفق البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبيﷺ على هذه الرواية وهي قوله: «إن الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً، فأما الذي يراه الناس ماء فناراً تحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب».

قال أبو مسعود وأنا قد سمعته تصديقاً لحذيفة.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه، إنه أعور وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه».

وأخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: ذكر رسول اللهﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف، إنه خارج خلة - أي إنه يخرج قصداً وطريقاً والتخلل الدخول الشيء - بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا».

طول بعض أيامه وكيف الصلاة فيها:

قلنا يا رسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم؟ قال «لا، أقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأصبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلاً شاباً ممتلئاً[1] فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه» (الحديث).

مع الدجال ما يسميه جنة وناراً أفهل ذلك تخييل؟

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن الذي معه من صورة الجنة والنار ونحوهما على طريق التخييل لا الحقيقة منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث المغيرة ابن شعبة في الصحيحين وغيرهما أنه قال كنت أكثر من سؤال النبي ﷺ عن آية الدجال، فقال لي «ومايضرك»؟ قلت إنهم يقولون إن معه جبل خبز؟ قال «هو أهون من ذلك» قال فمعناه إنه أهون على الله من أن يكون معه ذلك حقيقة بل يرى ذلك وليس بحقيقة، ويدل له أيضاً الرواية السابقة «أحدهما في رأي العين أبيض» (الحديث).

---

(١) المحفوظ «رجلاً ممتلئاً شاباً».

وقال جماعة، منهم ابن العربي: بل هي على ظاهرها امتحاناً من الله تعالى لعباده.

وحملوا قوله هو أهون الخ. . . أي من أن يخاف منه أو أن يضل الله به من يحبه.

قال في الإشاعة كالعلامة الشيخ مرعي، والتحقيق الأول، ويدل له ما تقدم من قوله ﷺ: «فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه أنها نار فإنه عذب بارد» وبما في رواية: «فالنار روضة خضراء».

ذكر المؤمن الذي يكذب الدجال وما يجري له:

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدّجال فكان فيما حدثنا قال: «يأتي وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول الرجل حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه».

وأخرج مسلم عنه أيضاً في هذا الحديث قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيلقاه المسالح مسالح الدجال - أي وهو جمع مسلحة قوم معهم سلاح والمسلحة كالثغر والمرقب وهو الذي يكون فيه قوم يرقبون العدو لئلا يهجم عليهم - فيقولون له أين تعمد؟ فيقول أعمد إلى هذا الرجل الذي خرج، قال فيقولون له أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه، قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر النبي ﷺ، قال فيأمر به الدجال فيشج فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول: أما تؤمن بي؟ قال فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال فيؤمر به فينشر

بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له قم فيستوي قائماً ـ وفي رواية قم حياً بإذني فيعود حياً ـ قال: فيقول له أتؤمن بي؟ فيقول ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاس، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول الله ﷺ هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين».

قال القرطبي في تذكرته يقال إن هذا الخضر عليه السلام.

قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته ثبت أن الدجال لا يسلطعلى أحد بالقتل إلا على رجل واحد يخرج إليه وهو شاب حسن فيقول له الدجال أتؤمن بي وبألوهيتي فيقول له إنك اللعين الكذاب أو الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشي الدجال بحماره بين الشقين ويقول له قم حياً بإذني فيعود حياً ثم يقول له بعد ذلك أتؤمن بي؟ فيقول ما ازددت فيك إلا يقيناً، إنك اللعين.

قال إبراهيم بن محمد بن سفيان يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

وقد توهم القرطبي فزعم أن القائل ذلك إبراهيم[1] أبو إسحق السبيعي وليس كذلك.

وقال بعضهم إن الرجل المذكور من أصحاب الكهف وقد مر أنهم يكونون من أصحاب المهدي.

فإن قلت كيف يقال إنه لا يسلطإلا على واحد مع ما ورد عن حذيفة رضي الله عنه أن مع الدجال رجالاً يقتلهم ثم يحييهم فالجواب إن هؤلاء الرجال إنما هم شياطين وقتله إياهم وإحياؤه لهم إنما هو في رأي العين لا على الحقيقة وأما قتل ذلك الرجل فعلى الحقيقة.

---

(١) كذا وراجع فتح الباري ج ١٣ ص ٩٢.

فائدة ـ في عدد من سلم من فتنة الدجال:

ورد أنه لم يبق من الناس بلا فتنة من الدجال إلا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة والله المستعان.

وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ـ لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ـ فيبعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه» (الحديث).

نزول عيسى عليه السلام
دل عليه الكتاب والسنة والإجماع

«و» من علامات الساعة العظمى العلامة الثالثة أن ينـزل من السمـاء السيد «المسيح» عيسى ابن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتـاب والسنـة وإجمـاع الأمة، أما الكتاب فقوله: ﴿وإنْ مِنْ أهْلِ الكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[1] أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً.

ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وأن الضمير في قوله قبل موته ليهود ويؤيده قراءة أبي رضي الله عنه قبل موتهم.

وأما السنة ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية» (الحديث).

وفي مسلم عنه «والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرن الصليب» بنحوه.

وأخرج مسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينـزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة».

وأما الاجـماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحـد من أهـل

(١) سورة النساء الآية (١٥٩).

الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها، ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي حتى أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي كما مر.

وتقدم أن عيسى عليه السلام يصلي وراء المهدي صلاة الفجر ولا يقدح ذلك في نبوته وكذلك يسلم إليه تابوت بني إسرائيل وكل ما معه من آلات الأمر.

فوائد في متعلقات السيد المسيح عليه السلام

الأولى حليته وسيرته:

فعند البخاري من حديث عقيل بن خالد إنه أحمر جعد عريض الصدر.

وفي رواية آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال سبط ينطف ـ بكسر الطاء المهملة أي يقطر ـ زاد في رواية: له لمة ـ أي بكسر اللام وتشديد الميم ـ أحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها ـ بتشديد الجيم أي سرحها ـ وفي رواية ـ لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ـ زاد في حديث أبي هريرة بنحوه: كأنما خرج من ديماس ـ يعني الحمام ـ ولا منافاة بين الحمرة والأدمة لجواز أن تكون أدمته صافية كما مر: لا يجد ريح نفسه كافر إلا مات.

وأما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم ويقتل القرد ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله، ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلها، وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال، ويرفع الشحناء والتباغض وينزع الله سم كل ذي سم حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، وترعى الشاة مع الذئب فلا يضرها، وتملأ الأرض سلماً ـ وينعدم القتال،

وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، وكذا الرمانة، وترخص الخيل لعدم القتال، ويغلو الثور لأن الأرض تحرث كلها.

ويكون مقرراً لشريعة نبينا محمدﷺ لا إنه رسول لهذه الأمة كما مر، ويكون قد علم أحكام هذه الشريعة بأمر الله تعالى وهوفي السماء قبل أن ينزل.

وزعم بعض العلماء أن بنزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام يرفع التكليف.

وهذا مردود للأخبار الواردة أنه يكون مقرراً لأحكام هذه الشريعة ومجدداً لها إذ هي آخر الشرائع ونبينا محمدﷺ آخر الرسل، والدنيا لا تبقى بلا تكليف، فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض الله الله، ذكره القرطبي في تذكرته.

وفي الحديث أنه قالﷺ: «وتسلب قريش ملكها».

قال الحافظ السخاوي في كتابه القناعة وابن حجر في القول المختصر: معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان».

قال البرزنجي في الإشاعة: ويدل لهذا حديث جابر عند مسلم «فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة» وعلى هذا فلا منافاة أن يكون المهدي أميراً حتى في زمن عيسى عليه السلام ويكون مراجعته في الأمور لعيسى عليه السلام للتبرك والتيمن به.

خبر لا يزال هذا الأمر في قريش وما يشكل عليه:

فإن قلت كيف يصح خبر لا يزال هذا الأمر في قريش مع مشاهدتنا انفصال قريش عن الملك منذ أزمان، فالجواب استحقاقها لهذا الأمر وإن ظلمها ظالم.

وأما عيسى فيظهر كمال العدل فلا يأخذ حقهم وربما أن يكون بقاء الأمر في قريش ولو مراجعة، ولا شك أن قريشاً يراجعون، على أن ملوك زماننا يزعمون أنهم

يتملكون بالنيابة عن قريش ويعملون صورة نيابة عن نقيب السادة الأشراف على أن لبني هاشم استقلالاً بالأمر في محلات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها.

ثم إنه لا يخفى إنه لا يحسن أن يقول إن الأمر في أيام عيسى يكون للمهدي مع كون عيسى رسولاً من اولي العزم معصوماً والمهدي رجل مجتهد، نعم يكون المهدي من خواص السيد عيسى بل وزيره والمقرب لديه يراجعه في الأمور وتصدر عنه الشورى وبالله التوفيق.

الفائدة الثانية ـ وقت نزوله ومحله وما يجري على يديه من الملاحم:

أما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين.

ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «فبينما هو أي الدجال كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريحه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه» قوله مهرودتين قال في جامع الأصول رويت هذه اللفظة بالمهملة والمعجمة يقال للثوب إذا صبغ بالورس ثم بالزعفران جاء لونه مثل زهرة الحوذانة فذلك الثوب مهرود، وقيل أراد بالمهرود الثوب المصبوغ بالهرد وهو صبغ أصفر قيل إنه الكركم، وقيل أراد في شقتين من الهرد وهو القطع. انتهى.

وقال في النهاية: في حديث عيسى عليه السلام إنه ينزل بين مهرودتين أي في شقتين أو حلتين، وقيل الثوب المهرود الثوب الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة.

قال القتيبي هو خطأ من النقلة وأراه مهروتين أي صفراوين يقال هريت العمامة إذا لبستها صفراء وكان فعلت منه هروت فإن كان محفوظاً بالدال فهو من الهرد الشق. وخطىء ابن قتيبة في استدراكه واشتقاقه.

قال ابن الأنباري القول عندنا في الحديث بين مهرودتين يروى بالدال والذال أي بين ممصرتين على ما جاء في الحديث ولم نسمعه إلا فيه، وكذلك أشياء لم تسمع إلا في الحديث، والممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة، وقيل المهرود الثوب الذي يصبغ بالعروق والعروق يقال لها الهرد، وفي حديث ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهردة جاء تفسيره في الحديث إنها العدسة، انتهى. والجمان حب الفضة.

ويكون نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام لست ساعات مضت من النهار حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقى شيء لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال كما سيأتي بيان ذلك.

الفائدة الثالثة ـ مقدار مدته ووفاته:

أما مدته ووفاته فقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني وابن عساكر أنه ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة».

وعند الإمام أحمد وابن أبي شيبة، وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد ﷺ.

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة وابن عساكر وأبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً حكماً مقسطاً».

وأخرج الإمام أحمد أيضاً في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يلبث عيسى ابن مريم أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلاً لسالت».

وفي المنتظم للإمام الحافظ ابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيتزوج ويولد له» ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمد وأن أمهما من اليزد، قال: «ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر» وعلى هذا روايات أربعين وردت بإلغاء الكسر.

وورد في رواية أنه يمكث سبع سنين.

وجمع بعضهم أن سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة وينزل سبعاً فهذه أربعون سنة.

وهذا والله أعلم ليس بشيء لما مر من حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره «فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة».

وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين، قال واستمررت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الإمام الحافظ البيهقي اعتمد أن مكثه في الأرض أربعين سنة معتمداً ما أفاده الإمام أحمد في روايته بلفظ ثم يمكث ابن مريم في الأرض بعد قتل الدجال أربعين سنة.

وهذا هو المرجع لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم ولأنه مثبت والمثبت مقدم. انتهى.

تله للدجال:

وإلى قتل سيدنا عيسى ابن مريم للدجال أشار بقوله:

وإنه يقتل للدجال ببـاب لـدّ خـل عن جدال

«وإنه» أي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام «يقتل» بأمر الله له ومعونته وتأييده «للدجال» أي الكذاب وهو اسم لهذا الشخص المشار إليه في الشرائع وقيل

إنما سمي دجالاً لأنه يقطع الأرض ويسير في أكثر نواحيها، يقال دجل الرجل إذا فعل ذلك.

وقيل سمي به لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال دجل إذا لبس وموّه.

وقيل مأخوذ من الدجل وهو طلي الجرب بالقطران وتغطيته فكأن الرجل يغطي الحق ويستره.

تنبيه ـ في لفظ المسيح وأنه يقال لعيسى عليه السلام ويقال للدجال:

إنما سمي الدجال مسيحاً لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها والأعور يسمى مسيحاً كما في جامع الأصول.

وأما تسمية سيدنا عيسى ابن مريم مسيحاً فقيل لمسح زكريا عليه السلام إياه، وقيل لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ، وقيل لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها في سياحته.

وقيل المسيح الصديق. فسيدنا عيسى مسيح الهدى وأما الدجال فمسيح الضلالة، وضبطه فيهما بفتح الميم وكسر السين مخففة وبالحاء المهملة، وسمع مسيح بالتشديد على وزن فعيل قاله الأزهري، فرقاً بينه وبين عيسى فيشدد في الدجال ويخفف في سيدنا عيسى.

قال الغنيمي الشافعي في رسالته «الأجوبة المفيدة على الأسئلة العديدة» ما لفظه: قال ابن دحية عن شيخه أبي القاسم عن أبي عمر أن موسى بن عبد الرحمن قال: سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبيﷺ أنه نطق به بالحاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الراجز «إذا المسيح قتل المسيحا» يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال. انتهى.

وقال في المطلع: المسيح اثنان نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام والدجال، ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على ما هو في القرآن وإنما اختلف

في معناه، فقيل سمي مسيحاً لمسحه الأرض فعيل بمعنى فاعل ـ وذكر نحو ما تقدم، وزاد: قيل إنما سمي مسيحاً لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص له، وقيل لأن الله تعالى مسحه أي خلقه خلقاً حسناً، وهذا تقدم ـ والمسحة الجمال الحسن ـ وقيل لأنه خرج ممسوحاً بالدهن. قال: وأما الدجال فهو مثل عيسى في اللفظ عند عامة أهل المعرفة والرواية.

وعن أبي مروان بن سراج وغيره كسر الميم وتشديد السين.

وأنكره الهروي وجعله تصحيفاً.

وقال بعضهم كسرت الميم للتفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام.

قال الحربي: بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها في عيسى وكل سواء.

قال أبو الهيثم والمسيح بالحاء المهملة ضد المسيخ بالخاء المعجمة مسحه الله إذ خلقه خلقاً حسناً ومسخ الدجال إذ خلقه ملعوناً.

وقال أبو عبيد: المسيح الممسوح العين وبه سمي الدجال، وقيل المسيح الأعور وبه سمي الدجال، وقيل أصله مشيح فيهما معرب وعلى هذا اللفظ ينطق به العبرانيون. انتهى.

وذكر نحوه في النهاية ثم قال في الدجال وقيل إنه الذي مسخ خلقه أي شوه وليس بشيء. انتهى.

صلاة عيسى بالمسلمين العصر بمسجد دمشق:

تقدم أن سيدنا عيسى عليه السلام يصلي بالمسلمين صلاة العصر بمسجد دمشق ثم يخرج بمن معه من أهلها في طلب الدجال ويمشي وعليه السكينة والأرض تقبض له وما أدرك نفسه من كافر إلا وقتله ويدرك حيث ما أدرك بصره حتى يدرك بصره حصونهم وقرياتهم إلى أن يأتي بيت المقدس فيجده مغلقاً قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح.

وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث جابر مرفوعاً: فيفر المسلمون ـ يعني من

الدجال ـ إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً. ثم إن الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانياً كما تقدم، ويبادر إلى بيت المقدس فإذا صعد عقبة فيق رفع ظلة على المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقواهم من برك حتى إذا طال الحصار قال رجل: إلى متى هذا الحصار؟ أخرجوا إلى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا إما بالشهادة وإما الفتح فهل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين؟ فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله أنها الصدق عن أنفسهم وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد وإن قوت المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه فينزل ابن مريم عليه السلام فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لامة فيقولون من أنت؟ فيقول أنا عبد الله وكلمته عيسى اختاروا إحدى ثلاث، أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذاباً جسيماً أو يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم. فيقولون هذا يا رسول الله أشفى لصدورنا فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب فينزلون إليه فيسلطون عليهم. هكذا في هذه الرواية وفي رواية أخرى: فبينما إمامهم ـ أي المهدي ـ قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام للصبح فيرجع المهدي قهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام ليصلي بالناس ويقال له يا روح الله تقدم ـ أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة إذن ـ فيقول عليه السلام ليتقدم إمامكم فيصلي لكم ويضع عيسى عليه السلام يده بين كتفي المهدي فيقول له تقدم فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى أفتح فيفتح ووراءه أي وراء الباب الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هارباً فيقول عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لد.

ولذا قال «بباب» متعلق بقتل الدجال أي يقتله بباب «لد» بضم اللام فدال مهملة بوزن مد ـ بلد مشهورة بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ إلى جهة الشمال متصل شجرها بشجرها ـ فيقتله هناك.

وفي رواية ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي «منادٍ» من السحر فيقول يا أيها

الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث، ويسمعون النداء: جاءكم الغوث. فيقولون هذا كلام رجل شبعان، وتشرق الأرض بنور ربها وينزل عيسى ابن مريم فيقول يا معشر المسلمين احمدوا ربكم وسبحوه - أي فإن التحميد والتسبيح قوتهم كما مر - فيفعلون ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيق الله عليهم الأرض فإذا أتوا باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى فإذا نظر الدجال عيسى يقول أقيموا الصلاة خوفاً منه - أي من عيسى - ويقول يا نبي الله قد أقيمت الصلاة، فيقول عيسى يا عدو الله زعمت أنك رب العالمين فلمن تصلي؟ فيضربه بمقرعته، وفي رواية بحربته التي نزل بها من السماء، وفي رواية يذبحه بالسكين. ولا منافاة في ذلك إذ كل ذلك سلاح لسيدنا عيسى عليه السلام - فيقتله. رواه الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً ولفظه: ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث، فيقولون هذا رجل حي فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا يتركن أحد ممن كان تبعه أحداً إلا قتله.

الجمع بين الروايات:

وحاصل وجه الجمع بين الروايات أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل أولاً بدمشق الشام على المنارة البيضاء لست ساعات من النهار ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثاً للمسلمين ويلحقهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد فيخرج إليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي والمهدي في الصلاة فيقهقر ويقال لعيسى تقدم أي يقول له ذلك من لم يحرم من المسلمين لما رأى المهدي تقهقر فيضع عيسى يده على كتف المهدي أن تقدم ويقول للقائل إمامكم فيجيب المهدي بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله ثم إذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الأرض فيدركهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتحيل الدجال إلى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة فلما عرف عدم التخلص ذاب خوفاً منه كما يذوب الملح بالماء فأدركه فقتله، أو أن الدجال ينشيء صلاة في غير وقتها وهو أدل على ضلاله وجهالته بالله كما في الإشاعة.

ثم قال وهنا وجه آخر وهو أقرب إلى التحقيق وهو أن الصلاة في الأيام القصار التي هي آخر أيام الدجال تقدر فيحتمل أن يصادف ذلك الوقت وعلى هذا فلا إشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار وبين كونه يصلي بالناس صلاة العصر.

ولي على هذا الجمع استشكال ذكرته في البحور الزاخرة وحاصله أن الروايات ثابتة أن نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق الشرقية ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال فتعمهم ضبابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع

الصبح فيرون عيسى عليه السلام قد نزل ويكون نزوله على المنارة البيضاء والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعون الدجال وقد فر، فهذا كالصريح أن عيسى ينزل على منارة دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضت من النهار؟ وفيه أيضاً أن الناس لم يكونوا أحرموا بالفجر بعد بل يريدون ذلك.

وأيضاً المعروف عند أهل العلم أن عيسى عليه السلام إنما يصلي وراء المهدي صلاة الصبح لا العصر فأول صلاة عيسى بالناس الظهر.

وربما يجاب عن هذا بأن يكون قد جمع بين صلاتي الظهر والعصر تأخيراً لاشتغاله في طلب الدجال فالأولى التسليم لما ورد على ما ورد والإذعان للأخبار الثابتة فلا تقابل بالمعارضة والرد ولهذا قال «خل» أي اترك وتنح وتفرغ «عن جدال» في ذلك فإنه أمر سمعي أخبر به المعصوم والعقل لا يحيله فوجب اعتقاده والتسليم والإنقياد والإذعان لما أخبر به خير العباد ورسول رب العالمين ﷺ.

معنى الجدل:

والجدل لغة اللدد في الخصومة والقدرة عليها يقال جادل يجادل فهو جدل ككتف ومجدل كمنبر ومجدال كمحراب، وجدلت الحبل أجدله جدلاً مثل فتلته أفتله فتلاً محكماً، والجدالة الأرض يقال طعنه فجدله أي رماه على الأرض ومنه حديث: «كنت نبياً وآدم منجدل في طينته» والجدال في اصطلاح النظار والفقهاء فتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله وإبطال قول غيره، وهو وإن كان مأموراً به على وجه الإنصاف وإظهار الحق لأنه لا يستغنى عنه لأن به نتبيّن صحة الدليل من فساده تحريراً وتقريراً وتتضح الأسئلة الواردة من المردودة إجمالاً وتفصيلاً إلا أن الغالب فيه إنما يكون على وجه الغلبة والخصومة والغضب والمراء، وهو يعني المراء استخراج غضب المجادل عن طريق الحق، وإليه ينصرف النهي عن قيل وقال.

قال البربهاري من علمائنا واسمه الحسن بن علي في كتابه شرح السنة: ليس

في السنة قياس ولا يضرب لها الأمثال ولا يتبع فيها الأهواء بل هي التصديق بآثار الرسول ﷺ بلا كيف فلا يقال لم؟ ولا كيف قال؟ والكلام والخصومة والجدال والمراء محدث يقدح الشك في القلب وإن أصاب صاحبه السنة والحق. انتهى مختصراً.

وروى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن أبي أمامة مرفوعاً «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ـ ثم تلا ـ ما ضربوه لك إلا جدل» وللإمام أحمد عن مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك المراء وإن كان محقاً».

وللترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «لا تمار أخاك».

ولأبي داود بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً».

وعند ابن ماجه والترمذي وحسنه عن أنس مرفوعاً «من ترك المراء وهو محق بُنِيَ له بيت في وسط الجنة».

وروى أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الجدال وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن تركه وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها» والله الموفق.

تنبيهات ـ الأول في قتل المسلمين لأتباع الدجال من اليهود:

إذا قتل سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام الدجال انهزم جنوده الذين هم اليهود ومن معهم فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة إلا قال يا عبد الله هذا يهودي وفي لفظ هذا دجالي فتعال اقتله إلا الغرقد فإنها من شجر اليهود لا ينطق، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل

المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله إلا الغرقد فإنه شجر اليهود» وفي صحيح البخاري نحوه.

الثاني ـ في قدر لبث الدجال وكيف النجاة منه:

أما قدر لبثه في الأرض فتقدم في خبر النواس بن سمعان عند مسلم والترمذي أنه يمكث أربعين يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم.

وفي رواية عند الإمام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين فبعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه».

وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء «إن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي».

وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدروا كيف يمضي النهار فيكون مضي النهار عندهم كمضي الساعة والشهر كاليوم والسنة كالشهر، ومنهم من قال بل هو على ظاهره.

فقد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند الإمام أحمد والترمذي في أشراط الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار.

وذكر بعض العلماء أن الصلاة تقدر في هذه الأيام أيضاً على قياس ما مر.

واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين فمنهم من مال إلى الترجيح فعلى هذا حديث النواس بن سمعان رواه الإمام أحمد في المسند ومسلم في صحيحه والترمذي في سننه فهو أقوى لأنه أصح وإن كان الثاني أيضاً صحيحاً فيقدم عليه.

ومنهم من مال إلى الجمع وطريقه أن أيامه أربعون سنة وتسمى السنين أياماً مجـازاً كما يقال أيام ابن الزبير وأيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأيام بني أمية، ثم إن أول أيام السنة الأُولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة وباقي أيامه كأيامنا ثم تتناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا إلـى أن تكون السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم حتى يكون آخر أيامـه بحيث يصبح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي فتكون السنـة الأولـى مشتملة على مقدار بسنين من سنينا وسنوه الأخيرة مقدار سنة من سنينا، ويقرب هذا الجمع رواية الحاكم ونعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً إنه يقول يعني الدجال أنا رب العالمين وهذه الشمس تجري بإذني أفتريدون أن أحبسها فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر وكالجمعة، ويقول أتريدون أن أسيرها فيجعل اليوم كالساعة (الحديث).

وأما كيفية النجاة منه فمعلوم أنه مخلوق يأكل الطعام ويشرب الشراب ثم إنه لخسته وعجزه أعور وهو جسم مرئي وهذه كلها لا تجوز على الباري.

وقد صح عن النبيﷺ أنه قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال».

وفي رواية من آخر الكهف رواه مسلم في صحيحهعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

وورد عن أبي أمامة مرفوعاً «من لقيه منكم فليتفل في وجهه» رواه الطبراني.

وروى الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً «من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال».

قال الترمذي حديث حسن صحيح.

ومما ينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله تعالى من التهليل والتسبيح والتكبير فإنه قوته.

الثالث ـ ينبغي بث الأحاديث المنذرة بالدجال:

مما ينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال.

وقد قال ابن ماجه سمعت الطنافسي يقول سمعت المحاربي يقول ينبغي أن يرفع هذا الحديث يعني حديث الدجال إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب.

وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر، وقد أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «يخرج الدجال في خفة من الدين وادبار من العلم».

فينبغي لكل عالم ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن وكثرت فيه المحن واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع والبدعة شرع يتبع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الرابع ـ في ابن صياد وهل هو الدجال؟

اختلف الناس الصحابة فمن بعدهم قديماً وحديثاً في الدجال هل هو صافي بن صياد أو غيره؟

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري: مما يدل على أن ابن صياد هو الدجال ما أخرج مسلم في صحيحه عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد الدجال، فقلت له أتحلف على ذلك؟ قال إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ. وأخرجه أبو داود في سننه.

وفي تذكرة القرطبي عن نافع، قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد.

أخرجه أبو داود وإسناده صحيح.

وفي ذلك عدة أحاديث وآثار صحيحة إلا أنها ليست صريحة ولا نصاً في أن ابن صياد هو الدجال.

وقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: يخرج الدجال من يهودية أصبهان ـ قال أبو نعيم كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وإنما سميت اليهودية لأنها كانت تختص بسكنى اليهود ولم تزل كذلك إلى زمن أيوب بن زياد أمير مصر في زمن المهدي بن المنصور العباسي فسكنها المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة.

وحاصل كلام الحافظ ابن حجر أن الأصح أن الدجال غير ابن صياد ووافقه في الإشاعة، وإن وافقه ابن صياد في كونه أعور ومن اليهود وأنه ساكن في يهودية أصبهان ففي خبر ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة الأولى ثم قال لقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه قال فقلت متى فعلت عينك ما أرى؟ قال لا أدري؟ قال: قلت لا تدري وهي في رأسك؟ قال إن شاء الله خلقها في عصاك هذه. قال: فنخر كأشد نخر حمار سمعت، فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت وأما أنا فوالله ما شعرت.

قال وجاء ابن عمر ودخل على أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها يحدثها فقالت: ما تريد إليه؟ أما أنه قد قال رسول الله ﷺ «إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه».

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ ذرني يا رسول الله أضرب عنقه فقال ﷺ «إن يكن هو فلن تسلط عليه وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله». ذكره في التذكرة وغيره.

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما فتحت أصبهان كان بين عسكرنا وبين عسكر اليهودية فرسخ فكنا نأتيها ونمتار منها فأتيناها يوماً فإذا اليهود يضطربون فسألت صديقاً لي منهم فقال ملكنا الذي نستفتح به على العرب يدخل فبت عنده على سطح فصليت فلما طلعت الشمس إذا الوهج

من قبل العسكر فنظرت فإذا هو ابن صياد فدخل المدينة يعني اليهودية فلم يعد حتى الساعة.

قال الحافظ ابن حجر: وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته وباقي سنده ثقات.

وقد أخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة.

وأخرج الترمذي من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه».

قال أبو بكرة ثم نعت له رسول الله ﷺ أبويه فقال: «أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه فرضاخية طويلة اليدين» قال أبو بكرة فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما فقلنا هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور[1] أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه. قال فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله همهمة[2] فكشف عن رأسه فقال ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي.

قال الترمذي هذا حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة. وأخرجه أبو داود الطيالسي.

والحاصل أن كون الدجال هو ابن صياد بعيد بل ضعيف وحديث داود الذي رواه عن جابر أن ابن صياد فقد يوم الحرة صحيح السند ورواه غيره بسند حسن فهو يضعف خبر أنه مات بالمدينة وأنهم صلوا عليه لأنه أسلم وأنهم كشفوا عن وجهه ولا يلتئم أيضاً مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار لأن فتح أصبهان كان في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها وبين شهادة سيدنا عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة..

(١) كلمة «أعور» ثبتت في الأصلين وليست في جامع الترمذي وفي الروايات ما يدفعها.
(٢) في الأصلين «جمجمة».

وحاصل كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري وكلام غيره أن الأصح أن الدجال غير ابن صياد كما تقدم ويؤيده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير بن نفير وشريح بن عبيد وعمرو بن الأسود وكثير بن مرة قالوا جميعاً الدجال ليس بإنسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن كما تقدم.

قال الحافظ ابن حجر وهذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صياد.

وأما ما أخرجه أبو داود في خبر الجساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال شهد جابر أن الدجال هو ابن صياد قلت فإنه قد مات. قال: وإن مات، قلت فإنه قد أسلم، قال وإن أسلم. قلت فإنه قد دخل المدينة، قال وإن دخل المدينة. فإن صح ذلك فهي شهادة على حسب ظنه وما وقر في صدره من اعتقاده أنه ابن صياد.

وأما ما ذكره سيف بن عمر في كتاب الفتوح والردة من أنه لما نزل المسلمون على سوس وأحاطوا بها وناشبوها القتال أشرف عليهم يوماً الرهبان والقسيسون فقالوا يا معشر العرب إن مما عهد إلينا علماؤنا وأولياؤنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال فإن كان الدجال فيكم فتفتحونها وإلا فلا تعنوا بالحصار قال وصافي بن صياد يومئذ مع النعمان بن بشير رضي الله عنه في جنده فأتى صافي بن صياد باب السوس غضبان فدقه برجله وقال انفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلال وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون فالمصحح خلافه.

قال الحافظ ابن حجر وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وخبر الجساسة وبين أحاديث كون الدجال هو ابن صياد أن الدجال هو الذي رآه تميم موثقاً بعينه وأن ابن صياد شيطان ظهر في صورة الدجال تلك المدة التي قدر الله خروجه فيها ثم ذهب وهذا ممكن والله أعلم.

الخامس ـ قصة تميم الداري حديث الجساسة:

في ذكر قصة تميم الداري وحديثه الذي رواه عنه النبيﷺ وهو حديث صحيح رواه أبو هريرة أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى وعائشة رضي الله عنها وهو في حديث فاطمة بنت قيس.

وروي أيضاً من حديث جابر أخرجه أبو داود بسند صحيح.

وأما حديث فاطمة الذي هو عمدة الباب وأشهر ما اشتهر من هذا الحديث فأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود بمعناه والترمذي وابن ماجه، قال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظ رواية مسلم قالت فاطمة رضي الله عنها سمعت منادي رسول اللهﷺ ينادي: الصلاة جامعة: فخرجت إلى المسجد فصليت مع النبيﷺ فلما قضى رسول اللهﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «ليلزم كل إنسان مصلاه. . .» ثم قال«أتدرون لم جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء وبايع وأسلم وإنه حدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفؤا (أي بفتح الهمزة وسكون الراء فهمزة مضمومة أي لجؤا) إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة (وهي بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرها سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج)قال:فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهاب»(أي كثير الشعر غليظه، وعند أبي داود: فإذا أنا بامرأة تجر شعرها ـ وفي رواية مسلم ـ دابة أهلب) كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت؟ قالت أنا الجساسة، قالوا وما الجساسة (وهي بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى سميت بذلك لأنها تجس الأخبار).

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه هي دابة الأرض التي تخرج آخر الزمان فتكلم الناس كما يأتي.

«قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال فلما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قطخلقاً وأشده وثاقاً مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبته إلى كعبه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت قال قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم (أي هاج واضطربت أمواجه) فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفينا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت: أنا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. قال أخبروني عن نخل بيسان (وهي بفتح الباء الموحدة قرية بالشام جنوبي طبرية وأيضاً ناحية باليمامة ولعلها المرادة في الحديث بدليل ذكر النخيل) هل يثمر؟ قلنا نعم، قال: أما إنها يوشك أن لا تثمر، ولفظ مسلم أخبروني عن نخل بيسان قلنا عن أي شأنها تستخبر، قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا نعم، قال: أما أنها يوشك أن لا تثمر، قال أخبروني عن بحيرة طبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا هي كثيرة الماء، قال: إن ماءها يوشك أن يذهب. قال أخبروني عن عين زغر (أي بضم الزاء وفتح الغين المعجمة على وزن صرد بليدة من الجانب القبلي من الشام بينها وبين بيت المقدس ثلاثة فراسخ على طريق البحيرة وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام قال: في القاموس وزغر قرية بالشام سميت بذلك لأن ابنة لوط نزلت بها قال وبها عين غور مائها علامة خروج الدجال) قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال أقابله العرب؟ قلنا له: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وأني مخبركم عني أني أنا المسيح وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليّ كلتاهما كلما أردت أن

أدخل واحدة ـ أو واحد ـ منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها».

قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر «هذه هي طيبة هذه طيبة هذه طيبة (يعني المدينة) ألا هل كنت حدثتكم؟ فقال الناس: نعم، قال: «فإنه أعجبني حديث تميم إنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو» وأومى بيده إلى المشرق».

قالت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها فحفظت هذا من رسول الله ﷺ.

أخرجه مسلم من عدة أوجه وأخرجه غيره أيضاً.

قال القاضي عياض في قوله ﷺ: «من قبل المشرق ما هو» لفظة ما زائدة صلة الكلام ليست نافية والمراد إثبات أنه من قبل المشرق.

وفي بعض طرق الحديث عند البيهقي أنه شيخ وسنده صحيح.

قال البيهقي فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد وإن كان ابن صياد واحد من الدجالين الكذابين الذين أخبر النبي ﷺ وسلم بخروجهم.

السادس ـ اسم الدجال عند اليهود وزعمهم فيه:

اسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود قالوا يخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار، قالوا وهو آية من آيات الله قال ويرد الملك إلينا وقد كذبوا في زعمهم بل هو مسيح الضلالة الدجال الكذاب وأما مسيح الهدى فعيسى ابن مريم عليه السلام والله أعلم.

السابع ـ إن عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال يزور المدينة:

إعلم أن سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله للدجال يذهب

إلى المدينة فيزور قبر النبيﷺ ويحج البيت الحرام ويتوفى بالمدينة المنورة فيدفن هناك.

فقد أخرج الإمام أحمد وابن جرير وابن عساكر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب ويجمع الصلاة ويعطي المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما».

وعند مسلم في صحيحه وابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً «ليهلن عيسى ابن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنيهما جميعاً». قوله بفج أي طريق والروحاء مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة.

قال ابن قرقول في المطالع والروحاء من عمل الفرع على نحو من أربعين ميلاً من المدينة، وفي مسلم ستة وثلاثين، وابن أبي شيبة على ثلاثين.

وأخرج الحاكم وصححه وابن عساكر من حديث أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه «ليهبطن ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه».

قال أبو هريرة رضي الله عنه أي بني أخي إذا رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام.

وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «من أدرك عيسى منكم فليقرئه مني السلام».

وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني: يدفن ابن مريم مع رسول اللهﷺ عليهما وصاحبيه رضي الله عنهما فيكون قبره رابعاً.

وفي المواهب اللدنية للقسطلاني رحمه الله بقي من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى ابن مريم عليه السلام ويكون قبره الرابع.

ومر حديث ابن عمر عند ابن الجوزي في المنتظم.

قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ينافي قوله ﷺ في الحديث المار معي في قبري فإنه ﷺ عبر بذلك لشدة القرب إذ هو لقربه كأنه معه، أو بتقدير مضاف أي في جانب قبري لينطبق الكلام وينتسق. فدل مجموع ما ذكرنا أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يموت بالمدينة المنورة.

قال بعضهم ولعل موته عند حجه وزيارته النبي ﷺ.

واعلم أن الكلام على المهدي والدجال وعيسى ابن مريم عليه السلام طويل شهير أفردت في ذلك الكتب المبسوطة والمختصرة وذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة من ذلك طرفاً صالحاً يغني من أحصاه علماً عن مراجعة أكثر كتب هذا الباب والله أعلم بالصواب.

خروج يأجوج ومأجوج

خروج يأجوج ومأجوج وإليها أشار بقوله:

وأمـر يأجـوج ومأجـوج اثبت فإنـــه حق كهـــدم الكعبة

اشتقاق الاسمين:

«وأمر يأجو ج ومأجوج» يهمزان ولا يهمزان لغتان وقرىء بهما فمن همزهما جعلهما من أجيج النار وهو ضوؤها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وقيل من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان أعجميان غير مشتقين.

قيل هم من أولاد يافث:

قال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام.

وقد روى الطبراني من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: «يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده».

قال أهل التاريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج.

قال الكسائي في العرائس إن يافث سار إلى المشرق فولد له هناك جوهر ونبرش وأشار واسقويل ومياشح وهي أسماء أعجمية، فمن جوهر جميع الصقالبة والروم وأجناسهم، ومن مياشح جميع أصناف العجم، ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء لأنهم لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح، فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعاً أو خمسون، ومنهم من طوله وعرضه كذلك، ومنهم من يلتحف بإحدى أذنيه ويفترش الأخرى.

وقال علي رضي الله عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم.

إثبات وجودهم وخروجهم بالكتاب والسنة:

والمراد بأمرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فلهذا قال «أثبت» أي اعتقد ثبوته.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[1].

وأما السنة ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يوحي إلى عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور،

(١) سورة الأنبياء الآية (٩٦).

ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار» (الحديث).

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات ونار تخرج من قعر عدن أبين» الحديث رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد قلت وهو في مسلم من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري ولفظه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى ترى قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

ورواه من وجه آخر وكنى حذيفة بأبي سريحة وقال فيه: ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس.

وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس.

وفي خبر علي رضي الله عنه لهم مخاليب وأنياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام إحداهما وبرة يشتون فيها والآخرة جلدة يصيفون فيها.

ما قيل أنه ليسوا من أولاد حواء ـ وما حكي في صفتهم:

سئل الإمام النووي هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء وكم ثبت أنه يعيش كل واحد منهم؟ فأجاب هم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عند أكثر العلماء، وقيل أنهم من آدم دون حواء.

قال النووي كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر عند جماهير العلماء قال النووي فيكونون أخواننا من الأب.

قال الحافظ ابن حجر لم يرد هذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح، ونوح من ذرية حواء قطعاً وإلا فأين كانوا حين الطوفان ولم يثبت في قدر أعمارهم شيء. انتهى.

خروجهم حق:

وقد ذكر الإمام ابن عبد البر الإجماع على أنهم من ولد يافث بـن نوح عليه السلام وإن النبيﷺ سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال: «جزت ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا» فللنص القرآني والأحاديث الواردة عن النبيﷺ مما ذكرنا ومما لم نذكر قال «فإنه» أي أمر يأجوج ومأجوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس «حق» ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ولم يحله عقل فوجب اعتقاده.

فقد روى الجماعة إلا أبا داود من حديث زينب بنت جحش. رضي الله عنهما قالت: خرج رسول اللهﷺ فزعاً محمراً وجهه يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها قالت: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» إشارةبذلك إلى أن الذي فتحوا من السد قليلاً وهم مع ذلك لم يلهمهم الله تعالى أن يقولوا عند نقبه وحفره غداً نفتحه إن شاء الله فإن قالوها خرجوا.

وقد روى عبد الرزاق عن أبي قتادة قال: يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبةفي الغزو وهم الترك فبقوا دون السد.

قبائلهم ومنها الترك وصفتهم:

وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق السدى من أثر قوي: الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجاً عنه.

وسئل علي رضوان الله عليه عن الترك فقال هم سيارة ليس لهم أصل، هم من يأجوج ومأجوج خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الأرض. رواه ابن المنذر.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعاً: «أنكم لتقولون لا عدو وأنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعور من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة» قوله صهب الشعور أي شعرهم بين الحمار والسواد.

وقال الزهري يأجوج ومأجوج ثلاث أمم منسك وتأويل وتأريس.

وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم وراءهم ثلاث أمم تأويل وتأريس ومنسك.

وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه.

وفي حديث حذيفة لا يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه.

وذكر بعضهم في صفتهم أن فيهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة.

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفاً من الذرية. وعند النسائي من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رضي الله عنه رفعه أن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءُوا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه أن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعونهن ما شاءوا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو أنه قال: الجن والإنس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس.

مقدارهم في جملة الجن والإنس:

وقال مكحول الأرض مسيرة مائة عام ثمانون منها يأجوج ومأجوج وهي أمتان كل أمة أربعمائة ألف لا تشبه الأمة الأخرى.

وعند أبي الشيخ عن أبي أمامة: الدنيا سبعة أقاليم فيأجوج ومأجوج ستة والباقي إقليم واحد.

وقال خالد الأشج إن بني آدم وبني إبليس ثلاثة أثلاث فثلثان بنو إبليس وثلث بنو آدم، وبنو آدم ثلاثة أثلاث ثلثان يأجوج ومأجوج وثلث سائر الناس، والناس بعد ذلك ثلاثة أثلاث ثلث الأندلس وثلث الحبشة وثلث سائر الناس العرب والعجم.

وعند الحاكم وعبد الرزاق من قول ابن عمر رضي الله عنهما أن الله تعالى جزأ الملائكة والجن والإنس عشرة أجزاء تسعة منهم الكروبيون والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون،، وجزأ الإنس والجن والجن عشرة أجزاء فتسعة من الجن لا يولد من الإنس ولد إلا من الجن تسعة، وجزأ الإنس عشرة فتسعة منه يأجوج ومأجوج (الحديث).

تتمة - في سبب خروجهم وإفسادهم وإهلاكهم:

سد ذي القرنين وصفته ومكانه وحكايات من ادعى رؤيته:

إعلم أولاً أن الإسكندر بنى الردم الذي سد به يأجوج ومأجوج كما ذكر الله تعالى ذلك في محكم الذكر في قوله سبحانه: ﴿قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[1] بالقتل والتخويف وإهلاك الزرع وفعل الخبيث: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾ أي جعلاً نخرجه من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي وخلف (خراجاً) بفتح الراء وألف بعدها وهو المال المضروب على الأرض يؤدى في كل عام: ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَداً﴾ أي حاجزاً فلا يصلون إلينا﴿قَالَ﴾ ذو

---

(١) سورة الكهف الآية (٩٤).

القرنين: ﴿مَا مكني فيهِ رَبي﴾ من القوة والعلم وطلب ثوابه والمال ونفوذ المقال ﴿خَيْر﴾ أي أَفضَلَ مما تعطونني أنتم: ﴿فأعِينُوني بقُوة﴾ أي آلة أتقوى بها وفعل منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُم وَبَيْنَهُمْ رَدْمَاً﴾ هو أكبر وأعظم من السد فجاءوه بذلك فحفر ما بين الصدفين يعني الناحيتين من الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان حتى بلغوا الماء ثم قال: ﴿آتُوني زُبَرَ الحَدِيدِ﴾ أي القطع التي أعدها لذلك فجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بعضها فوق بعض وجعل بينهما الحطب والفحم ﴿حَتَى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا﴾ فنفخوا النار: ﴿حَتَى إذاجَعَلَهُ﴾ أي الحديد ﴿نَاراً﴾ أي كالنار: ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ أي صب عليه نحاساً مذاباً فجعلت النار تأكل الحطب وتصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس وكان طوله مائة فرسخ وعرضه خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطول الجبلين اللذين بني بينهما مائة فرسخ ﴿ومَا استَطاعُوا لَهُ نقباً﴾ أي خرقاً لصلابته وسمكه ثم قال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِي فَإذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وكَانَ وَعْدُ رَبي حَقَاً﴾[1].

وقد روى البزار من حديث يوسف بن مريم الحنفي قال بينما أنا قاعد مع أبي بكرة رضي الله عنه إذ جاء رجل فسلم عليه فقال أما تعرفني؟ فقال له أبو بكرة أنت هو؟ قال نعم، فقال اجلس حدثنا فقال: انطلقت إلى أرض ليس لأهلها إلا الحديد يعملونه فدخلت بيتاً فاستلقيت على ظهري وجعلت رجلي على جداره فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتاً لم أسمع مثله فرعبت، فقال لي رب البيت لا تزعرن فإن هذا لا يضرك، هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفيسرك أن تراه؟ قلت نعم، قال: فغدوت فإذا لبنه من حديد كل واحدة مثل الصخرة وإذا كأنه البرد المحبر.

فقال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل قد أتى الردم فلينظر إلى هذا». قال أبو بكرة صدقت.

وذكر أهل التاريخ أن الاسكندر وجد هناك معدنين فاستخرج منهما ما كفاه من الحديد والنحاس وكان مكان السد جبلان متقابلان أملسان كالحائطيزلق عنهما كل

---

(١) سورة الكهف الايات (٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨).

شيء لا يرتقى فيهما لعلوهما وملاستهما فأمر الإسكندر الصناع فضربوا لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف وسمكها شبر.

وقد ذكر سلام الترجمان قال: بعثني الواثق العباسي إلى السد وضم إليّ خمسين رجلاً وأعطانا مالاً فما زلنا ننتقل في البلاد وتبعث الملوك معنا الأدلة إلى أن صرنا إلى أرض سوداء منتنة الريح فسرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها سبعة وعشرين يوماً وهي التي كانت يأجوج ومأجوج يطرقونها ثم صرنا إلى حصون بالقرب من السد وفيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرءون القرآن فسألونا من أين أقبلتم؟ قلنا نحن رسل أمير المؤمنين قالوا: ما سمعنا بهذا قط، ثم صرنا إلى جبل أملس وفيه السد وهناك باب حديد مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ارتفاع خمسين في ثخن خمسة أذرع وقائمتاهما في دوارة، على الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعاً وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وعلى الغلق مفتاح معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار وعتبة الباب عشرة أذرع ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد فيضربون القفل بتلك المرزبات ليسمعوا الصوت فيعلموا الصوت أن هناك حفظة[1].

حديث حفرهم السد:

وقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وحسنه ابن حبان والحاكم وصححاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا، فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا إن شاء الله تعالى ـ واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس».

---

(١) الحكاية في معجم البلدان «سد» باختلاف.

قال الحافظ ابن حجر أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح .

في الحديث آيات :

قال ابن العربي في هذا الحديث ثلاث آيات الأولى إن الله تعالى منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً، الثانية منعهم أن يحتالوا للرقي على السد بنحو السلم والآلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه مع أنه ورد أن لهم أشجاراً وزروعاً، الثالثة أن صدهم أن يقولوا إن شاء الله حتى مجيء الوقت المحدود.

قلت وأخل بالآية الرابعة وهي أعظمها وهي عود السد بعد الحفر حتى إذا كادوا أن يروا شعاع الشمس إلى أشد ما كان إلى أن يبلغ الكتاب أجله.

وقد يقال إن فيهم من يعرف الله تعالى ويقر بقدرته ومشيئته ، ويحتمل أن تكون كلمة المشيئة جرت على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناه فيحصل المقصود ببركتها ، ويدل لهذا ما روى عبد بن حميد من طريق كعب الأحبار نحو حديث أبي هريرة وفيه فإذا جاء الأمر ألقى الله على بعض ألسنتهم نأتي غداً إن شاء الله فنفرغ منه .

وروى ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه يغدون فيجيئون عليه فيفتح (الحديث وسنده ضعيف) .

والحاصل أنه يحتمل أن تلقى كلمة المشيئة على لسان أحدهم وهو أقوى، ويحتمل أن يسلم واحد منهم بإلهام من الله فيقول إن شاء الله تعالى.

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعاً بعد ذكر الدجال وقتل عيسى عليه السلام له قال ثم يأتيه - يعني عيسى - قوم وقد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أن قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون (الحديث) .

هلاكهم:

وفي رواية لمسلم ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنامن في الأرض هلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النغف ـ بفتح النون والغين المعجمة ففاء، وفي رواية دوداً كالنغف في أعناقهم، وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة عن الأصمعي وعن أبي عبيدة هو الدود الأبيض يكون في النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحوت في بطن الأرض ـ فيصبحون موتى كموت نفس واحدة معناه قتلى لا يسمع لهم حس ـ فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ فيتجرد رجل منهم محتسباً نفسه قد وطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى إلا لحومهم فتشكر منه ـ بفتح الكاف أي تسمن ـ أحسن ما شكرت عن شيء وحتى إن دواب البحر تسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم، ويهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم أي ريحهم من الجيف فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيستغيثون بالله فيبعث الله ريحاً يمانية غبراء فتصير على الناس غماً ودخاناً ويقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الأرض جيفهم في البحر.

ولفظ صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله تعالى طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن معه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل ـ يعني اللبن ـ حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ـ أي الجماعة منهم ـ واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس (الحديث).

وفي رواية فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فترميهم إلى البحر.

وفي رواية في النار، ويوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين.

قوله في الحديث كالزلفة يروى بالفاء وبالقاف.

قال القاضي عياض في مشارق الأنوار ضبطناه بالوجهين عن متقني شيوخنا وبهما ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالمرآة وقاله ثعلب وأبو زيد وقال بعضهم هو بالفاء الإجانة الخضراء، وقيل الصحفة وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما أظهر وبالله التوفيق.

قال النواس بن سمعان رضي الله عنه كما في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «فبينما هم يعني عيسى ابن مريم وأصحابه كذلك أي في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم إذ بعث الله تعالى ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة». والله أعلم.

هدم الكعبة

من العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة والقبلة المعظمة وإليها أشار بقوله كـــما أن أمر يأجوج ومأجوج حق ثابت يجب اعتقاده ووقوعه فكذا يجب اعتقاد وقوع «هدم الكعبة» المعظمة والقبلة المكرمة وسلب حليها وإخـراج كنزهـا لمـا أخرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة». وفي لفظ: «ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله».

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وزاد «ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله».

وأخرج الأزرقي عنه «يجيش البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهي إلى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده إني لكأني أنظر إلى صفته في كتاب الله تعالى أفيحج أصيلع أفيدع قائماً بهدمها بمسحاته أو معوله».

وفي الصحيحين «كأني به أسود أفحج بهدمها حجـراً حجـراً» أي ويتداولهـا أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر كما ورد في حديث حذيفة مرفوعاً «كأني أنظر إلى حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وقد صف قدميه على الكعبة هـو وأصحاب له ينقضونها حجراً حجراً ويتداولونها حتى يطرحوها في البحر» الحديث.

قوله ذو السويقتين أي صاحبهما وهما تصغير ساقين أي دقيق الساقين وقوله أصيلع تصغير الأصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه والأفيدع تصغير أفدع وهو من في يده اعوجاج وفي القاموس الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم أو هو المشي على ظهر القدم أو ارتفاع أخمص القدم حتى لو وطيء الأفدع عصفوراً ما آذاه أو هو عوج في المفاصل لأنها قد زالت عن موضعها. وأكثر ما يكون في الأرساغ خلقة وجاء في بعض روايات الحديث أصعل أي صغير الرأس؟ وفي بعضها أصمع أي صغير الأذنين وقيل كبير الأذن، والأفيحج تصغير أفحج المتباعد الفخذين.

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه».

رواه بهذا اللفظ أيضاً الأزرقي في تاريخ مكة والحاكم وصححه.

من الذي يستخرج كنز الكعبة:

فإن قلت قد ورد وتقدم أن المهدي هو الذي يخرج كنز الكعبة وفي هذا الحديث إن ذا السويقتين هو الذي يخرج كنزها ولعمري انه لسؤال وارد واستشكال مضاد ولم أر من تقدمني ممن نقب عن هذا السؤال وفي يمه خاض ولا من أجاب هذا السؤال ولا من تعرض لهذا الإعتراض ولعل الجواب أن المهدي يستخرج الكنز المذكور ثم بعد ذلك يجتمع في خزانة الكعبة في مدة المهدي ومدة سيدنا عيسى إلى أن يخربها ذو السويقتين مال كثير سيما مع كثرة المال وانكباب أهل ذلك الوقت على أنواع القربات مع كثرة الحجاج وهذا ممكن أو يكون المهدي كشفه وظهر عليه وأخذ منه عوزه وترك باقيه والله أعلم.

كون الحرم آمناً لا ينفي ما صحت به الأخبار:

فإن قلت تسلط هذا العدو الخبيث على هدم بيت الله المعظم ينافي قوله تعالى: ﴿أولَمْ يرَوْا أنَّا جعَلْنَا حرماً آمِنا﴾[1] الآية: ﴿ومَنْ يُرِدْ فيهِ بإلحاد بظلم﴾[2] الآية، وقد حماه سبحانه من أصحاب الفيل وجيرانه حينئذ كفار مشركون فكيف يسلط عليه الحبشة وهو قبلة المسلمين وهم جيرانه (فالجواب) ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وهو أن يقال قد أشار النبي ﷺ للجواب في الحديث بقوله: «ولن يستحل هذا البيت إلا أهله» ففي زمن الفيل ما كانوا قد استحلوه فمنعه منهم وأما الحبشة فلا يهدمونه إلا بعد استحلال أهله مراراً وقد استحله جيش يزيد بن معاوية بأمره ثم الحجاج زمن عبد الملك بن مروان بأمره فسلط الله عليه القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف ما لا يحصى وقلعوا الحجر ونقلوه لبلادهم فلما وقع استحلاله من أهله مراراً مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم على أنه ليس في الآية استمرار الأمن المذكور فيه. انتهى.. ملخصاً.

(قلت) والذي يظهر لي أن هذا العالم مشعر بالاضمحلال وكما ورد الشرع بالأمن ورد باضمحلال هذا العالم ودماره فأشعر أن الأمن مغياً إلى غاية أشار الشارع إليها فوجب تصديق الأمرين كل واحد زمنه حسبما هو مقتضى الشرع وبالله التوفيق.

هدم الكعبة في زمن عيسى أم بعده؟

فإن قلت هل هدم الكعبة من ذي السويقتين المذكور زمن سيدنا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول الله (فالجواب) أن هذا مما اختلف فيه العلماء فعن كعب الأحبار أنه زمن عيسى عليه السلام، وقيل زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج فيحج الناس ويعتمرون كما ثبت ذلك وإن عيسى عليه السلام يحج أو يعتمر أو يجمع بينهما

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٦٧).

(٢) سورة الحج الآية (٢٥).

كما تقدم فالظاهر أن هدم البيت بعد موت سيدنا المسيح وهبوب الريح التي يموت بها من في قلبه ذرة من إيمان وذكر الحافظ ابن حجر أنه وجد في كتاب التيجان لابن هشام أن عمر بن عامر كان ملكاً متوجاً وكان كاهناً معمراً وأنه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة إن بلادكم ستخرب وإن لله في أهل اليمن سخطين ورحمتين فالسخطة الأولى هدم سد مأرب وخراب البلاد بسببه، والثانية غلبة الحبشة على اليمن، والرحمة الأولى بعثة نبي من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك، والثانية إذا خرب بيت الله يبعث الله رجلاً يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا إيمان إلا بأرض اليمن.

قال الحافظ ابن حجر إن ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه.

واعترضه البرزنجي في الإشاعة بأن ليس فيما ذكر ما يقتضي أن ذلك هو القحطاني ولم لا يجوز أن يكون شعيب بن صالح هو التميمي القادم بالرايات السود إلى المهدي وأنه يرسل عيسى عليه السلام إليه حين يأتيه الصريخ ويؤيده كونه لقبه المنصور وبتقدير أن يكون هو إياه فجائز أن يكون قبل خلافته ويكون في من أرسله عيسى عليه السلام أميراً عليهم فإنه ورد أن الصريخ يأتي عيسى بذلك فيبعث إليه طائفة ما بين الثمانية إلى التسعة فيكون هو أميرهم، وليس في كونه رحمة لأهل اليمن ما يقتضي أنه منهم، ويكفي من كونه رحمة لهم أنه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى إيمان إلا في أرض اليمن.

ثم إن الحجاز من اليمن ولذا يقال الكعبة يمانية، ولعل زمن اختصاص اليمن ببقاء الإيمان بعد قبض المسيح وهبوب الريح، ولا ينافي ما ذكر حديث «آخر ما يوجد الإيمان في المدينة» لأنها من اليمن والله أعلم.

وقيل إن هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولا يبقى في الأرض من يقول الله ويؤيد هذا أن زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم وبركة وأمان وخير وهذا أليق بكرم الله، والذي تقتضيه الحكمة فإن البيت قبلة الإسلام والحج إليه أحد أركان الدين ومبانيه فالحكمة

تقتضي بقاءه ببقاء الدين فإذا جاءت الريح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرتفع القرآن.

قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته جاء عن الثقات الحفاظ يمكث الناس ما شاء الله تعالى في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة، قال ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبداً، وهم الذين يستخرجون كنوز مصر.

قال ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعباءة. فتبيّن أن هدم الكعبة بعد الآيات كلها وإن كان لا يخلو من تأمل والله أعلم.

فوائد ـ إحداها فيما جاء في خراب المدينة:

تقدم أن عمران بيت المقدس خراب يثرب. رواه أبو داود من حديث معاذ مرفوعاً.

وروى الطبراني أنه ﷺ قال: «سيبلغ البناء سلعاً ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الأثر».

وأخرج الإمام أحمد نحوه بإسناد حسن.

وفي الصحيحين «لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها إلا العوافي الطير والسباع» الحديث، وسبب خرابها والله أعلم أن خيار أهلها يخرجون مع المهدي إلى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك بمنافقيها وترميهم إلى الدجال ولم يبق إلا المؤمنون المخلصون فيهاجرون إلى بيت المقدس عند إمامهم وقد ورد ستكون هجرة وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر إبراهيم. ومن بقي منهم تقبض روحه الريح الطيبة.

وقد روى المرجاني في أخبار المدينة عن جابر مرفوعاً: «ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون إيمان إلا بها».

وأخرج النسائي من حديث أبي هريرة مرفوعاً «آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة» ورواه الترمذي بنحوه وقال حسن غريب.

ورواه ابن حبان بلفظ: «آخر قرية في الإسلام خراباً المدينة» وصح«إن الدين ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» فظاهر هذه الأخبار التعارض ووجه الجمع أن الفتن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى أهل المدينة مع المهدي فيأرز الدين أي ينحسر ويدخل إلى المدينة حينئذ لأنهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق ثم إنها تنفي خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الإيمان الخالص بخلاف غيرها من بيت المقدس وغيرها من البلدان فيبقى فيهم أهل ذمة ومنافقون لأنهم إنما يؤمنون بعد نزول عيسى عليه السلام، وكذلك مكة تقذف بمنافقيها إلى الدجال أيضاً.

وقد قيل إن الريح الطيبة تأتي من الشام فيكون أهل الشام يقبضون قبل أن تصل المدينة أو من اليمن فكذلك أو من كليهما كما جمع به والأمر ظاهر فيصدق أنه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة وهذا محط حديث أبي هريرة فبمجرد موتهم تخرب المدينة لأنه ليس فيها سوى المؤمنين بخلاف غيرها فإنها تبقى عامرة بشرار الناس كما أشار إليه في الإشاعة وهو حسن وبالله التوفيق.

الثانية ـ خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد:

(في ذكر خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد وهؤلاء بعد موت المهدي).

أخرج أبو الشيخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الدجال ويموت، فيستخلفون ـ يعني بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام بأمره ـ رجلاً من بني تميم يقال له المقعد، فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال» ويبدأ النقص ليوافق ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام.

والظاهر والله أعلم أن هذا التميمي الملقب بالمقعد هو شعيب بن صالح أحد

الأمراء والوزراء للمهدي بل هو أحد الممهدين، والظاهر أنه يبقى أميراً في نواحي الشرق ثم يستدعيه عيسى عليه السلام بعد وفاة المهدي عند خروج ذي السويقتين على مكة ونواحيها فيقتلهم ويسبيهم حتى يباع الحبشي بالعباءة، ثم عند وفاة سيدنا المسيح يوصي له بالأمر لما يرى فيه من الكفاءة لذلك والقيام بأعباء الدين. ولم أر هذا التحرير لغيري فإن لم يكن هو شعيب بن صالح وإلا فهو أحد الأمراء الذين كان يلقى عليهم أعباء الأمر، أو الذي يلي إمارة الشرق من بعد شعيب إن كان هو قد مات ويكون هذا يلقب بالمقعد.

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه».

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عنه مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه».

وأخرج الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس ابن جابر عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال «ستكون من بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ثم يخرج من أهل بيتي المهدي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه».

وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال بلغني أن المهدي يملك أربعة عشر سنة ببيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور يعني القحطاني يمكث ببيت المقدس إحدى وعشرين سنة. قلت هذا لا يلتئم أن يكون هو شعيب بن صالح التميمي لأن بني تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وإن وافقه في تلقيبه بالمنصور. ثم يقتل هذا القحطاني ثم يملك المولى يعني الجهجاه ويمكث ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده الهيثم المهدي بثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام.

وهذا المهدي غير الأول وكأنه لقب بذلك لحسن سيرته وصفاء سريرته.

والحاصل أن الواجب اعتقاده من ذلك ما دلت عليه الأخبار والآثار الصريحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وسيدنا عيسى ابن مريم في زمنه

ويصلي عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجر وهو المراد حيث أطلق المهدي.

وأما المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيء والذين من بعده فأمراء صالحون لكن ليسوا مثله فهو آخرهم في الوجود وأمامهم وخيرهم وأفضلهم في الحقيقة والمراد غير سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه رسول كريم من أولي العزم وهو آية وعلامة وحده.

فيجب الإيمان بنزوله، ويجب الإيمان أيضاً بخروج الدجال اللعين وأن سيدنا عيسى عليه السلام يقتله بباب لد عند بئر الزئبق، ويجب الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج وبأن الكعبة يهدمها ذو السويقتين في آخر الزمان والله تعالى المستعان.

الثالثة ـ حديث حجوا قبل أن لا تحجوا:

جاء في الحديث الشريف أنهﷺ قال: «حجوا قبل أن لا تحجوا فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه بالأمس».

وقد روى الحاكم والبيهقي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً «حجوا قبل أن لا تحجوا فكأني أنظر إلى حبشي أصمع أفدع بيده معول يهدمها حجراً حجراً» قوله أفدع هو بفاء ودال مهملة بوزن أفعل يمشي على ظهور قدميه، وتقدم أن الأصمع بالصاد المهملة صغير الأذن.

وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «حجوا قبل أن لا تحجوا، تقعد أعرابها على أذناب أوديتها فلا يصل إلى الحج أحد».

وعن ابن عمر رضيَ الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ «استمتعوا بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» رواه البزار والطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال صحيح الإسناد.

قال ابن خزيمة قوله يرفع في الثالثة يريد بعد الثالثة.

وروى أبو القاسم الأصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «تعجلوا إلى الحج ـ يعني الفريضة ـ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» والله تعالى أعلم.

الدخان

من علامات الساعة وأشراطها العظمى ما أشار إليه بقوله:

«وإن منها آية الدخان».

«وإن منها» أي من أشراط الساعة التي ورد النص بها وإنها حق يجب الإيمان به «آية» أي علامة وأصلها أوية بفتح الواو وموضع العين واو والنسبة إليه أووى، وقيل أصلها فاعلة فذهبت منها اللام أو العين تخفيفاً ولو جاءت تامة لكانت آيية.

ومعنى الآي من كتاب الله تعالى جماعة حروف وكلمات من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً وأما في غيره فهي العلامة أي من أشراط الساعة علامة «الدخان» كرمان وغراب لغتان والجمع أدخنة وداخن ودواخين.

قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[1].

قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم والحسن وزيد بن علي رحمهم الله تعالى هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت.

وأما السنة فأخرج مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: طلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون» قالوا الساعة يا رسول الله

(١) سورة الدخان الآية (١٠).

قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» فذكر منها الدخان .

ورواه الترمذي وابن ماجه وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً.

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن من أشراط الساعة دخاناً يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوماً فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فِيْهِ ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره، رواه الطبراني.

ورواه البغوي ولفظه قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا» قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان، فتلا هذه الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾(1) يملأ ما بين المشرق والمغرب (الحديث) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال الستة: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة أو خاصة أحدكم(2) أو أمر العامة» وفي رواية «وأمر العامة وخويصة أحدكم».

وقيل إن الدخان مر وإنه الجوع الذي كان حال بين أبصار قريش وبين السماء.

ففي الصحيحين والترمذي عن مسروق قال كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام، فقام عبد الله وجلس وقال وهو غضبان يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله أعلم فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ ما أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾(3) إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال: «اللهم سبع كسبع يوسف».

---

(1) سورة الدخان الآية (10).

(2) قوله أو خاصة أحدكم أي موته كما في المطالع. إهـ. مؤلف.

(3) سورة ص الآية (86).

وفي رواية لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم قال الله عز وجل ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[1] إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾[2].

قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة؟ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[3] فالبطشة يوم بدر.

وفي رواية قال: قال عبد الله إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله عز وجل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال فأتى رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله استسق لمضر فإنها قد هلكت.. قال لمضر؟ إنك لجريء، واستسقى لهم فسقوا فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ يعني يوم بدر..

وفي رواية فقيل له إنا إن كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾.

وفي رواية الترمذي كقوله ربنا اكشف عنا العذاب فهل يكشف عذاب الآخرة؟ قد مضى البطشة واللزام والدخان، واللزام يوم بدر.

وفي البخاري ومسلم قال عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه: خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر.

(١) سورة الدخان الآية (١٠).

(٢) سورة الدخان الآية (١٥).

(٣) سورة الدخان الآية (١٦).

قال في النهاية في حديث أشراط الساعة ذكر اللزام وفسر بأنه يوم بدر. انتهى.

وكذا البطشة يوم بدر، والروم إشارة إلى قوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[1] والقمر إشارة إلى قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[2].

قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته كغيره: كلام ابن مسعود رضي الله عنه موافق لظاهر الآية فلا دليل فيها لما ذهب الجمهور وإنما دليلهم السنة وكأن ذلك لم يبلغ ابن مسعود رضي الله عنه حين أنكر ذلك مع أنه ورد عنه أيضاً أنه كان يقول: هما دخانان مضى واحد والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس.

والذي أنكره ابن مسعود قد جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال: آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينقد.

وقد أخرج الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: «إن ربكم أنذركم ثلاثاً الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة» (الحديث).

وورد ذلك من عدة طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وتضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلاً. وقد قيل إن القاص الذي أنكر عليه ابن مسعود هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهذا ليس بشيء فلا ينظر إليه ولا يعول عليه وبالله التوفيق.

---

(١) سورة الروم الآية (٢).

(٢) سورة القمر الآية (١).

رفع القرآن

من علامات الساعة وأشراطها رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من الصدور ومن السطور وإليه الإشارة بقوله: «وإنه يذهب بالقرآن»

«وانه» أي الشأن والأمر «يذهب» بضم التحتية مبنياً لما لم يسم فاعله أي يذهب الله تعالى «بالقرآن» العظيم وكلام الله المنزل على النبي الكريم من المصاحف والصدور وهي من أشد معضلات الأمور، فأخرج الديلمي من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما مرفوعاً «يسري على كتاب الله ليلاً فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف إلا نسخت» قال في البهجة قرر الأئمة أنه يرفع أولاً من المصاحف وذلك إنهم يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لأعجل زمن حتى لا يكون شيء منه محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر وقد سأله الآخر كنت أحفظ شيئاً نسيته لا أدري ما هو، وفي الحديث: «أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع» قيل وكيف يرفع ما في صدور الرجال؟ قال: «يسرى عليهم ليلاً فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا إله إلا الله» وعند الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما «لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الله عز وجل ما لك؟! فيقول منك خرجت وإليك أعود أتلى فلا يعمل بي».

وأخرج ابن ماجه من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً «يدرس الإسلام حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسري على كتاب الله تعالى في

ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية» (الحديث).

وأخرج السجزي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن».

وأخرج ابن ماجه بسند قوي والحاكم والبيهقي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه قال: يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز ويقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها. والله أعلم.

طلوع الشمس من مغربها

من علامات الساعة وأشراطها طلوع الشمس من مغربها وأشار إليها بقوله:

«طلوع شمس الأفق من دبور».

ومنها «طلوع شمس الأفق» قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾[1] وقال: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[2].

وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال حدثني رسول الله ﷺ أن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش.

وأخرج أبو الشيخ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خلق الله الشمس من نور عرشه وكتب في وجهها إني أنا الله لا إله إلا أنا رضاي كلام وغضبي كلام ورحمتي كلام وعذابي كلام.

وخلق القمر من نور حجابه الذي يليه وكتب في وجهه إني أنا الله لا إله إلا أنا صنعت القمر وخلقت الظلمات والنور فالظلمة ضلالة والنور هدى. أي أضل من شئت وأهدي من شئت.

وكتب في بطنه إني أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير والشر بقدرتي وعزتي أبتلي بهما من شئت من خلقي.

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٣).

(٢) سورة نوح الآية (١٦).

وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال: الشمس قدر الدنيا وزيادة ثلث، والقمر على قدر الدنيا.

وأخرج من وجه آخر بلفظ سعة الأرض بدل قدر الدنيا في الموضعين.

وزعم أهل الهندسة أن الشمس أضعاف الأرض مائة وستون مرة أو مائتين.

والأفق بالضم وبضمتين الناحية والجمع آفاق والأفق أيضاً ما ظهر من نواحي الفلك وهو المراد هنا وقوله «من دبور» بفتح الدال المهملة وضم الموحدة مخففة فراء بعد الواو جهة المغرب لأنها تدابر باب الكعبة، وتسمى الريح التي مهبها من جهة المغرب دبور، قال النبي ﷺ «نصرت بالصبا وهلكت عاد بالدبور» رواه الإمام أحمد والشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي القاموس: دبرت الريح تحولت دبوراً وهي ريح تقابل الصبا.

قال الإمام النووي الصبا بفتح الصاد المهملة مقصوراً هي الريح الشرقية.

ثبوته بالسنة والكتاب:

قال العلماء رحمهم الله تعالى طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والأخبار الصريحة بل وبالكتاب المنزل على النبي المرسل.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[1] الآية.

أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنها طلوع الشمس من مغربها.

تفصيل حال الناس حين ذلك في الإيمان والعمل:

وقد خاض بعضهم في تفسير الآية الكريمة ولم يهتد لمقصودها الذي عليه المحط، وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة أن من لم يكن إيمانه متحققاً إذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الإيمان ولم ينفعه فعل بر من جميع الأعمال لأنه فقد الإيمان الذي هو الأساس لما عداه من تلك الأعمال فلا ينفعه

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٨).

إيمانه الحادث حينئذ ولا ما صدر منه قبل ذلك من الإحسان وعمل البر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من مكارم الأخلاق لأنها على غير أساس.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بربهم أعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾[1] الآية.

والإيمان الحادث في ذلك الوقت ليس مقبولاً حتى يكون من باب «أسلم على ما سلف من الخير» فهؤلاء لا ينفعهم لا بانضمام الأفعال اللاحقة ولا بانضمام أعمالهم السابقة لفقد الأساس الذي هو الإيمان.

وأما من تحقق اتصافه بالإيمان الشرعي من قبل ذلك واستمر إيمانه إلى طلوع الشمس من مغربها فهو لا يخلو إما أن يكون مؤمناً مقيماً على المعاصي لم يكسب في إيمانه خيراً أو مؤمناً مخلطاً أو مؤمناً تائباً عن المعاصي كاسباً في إيمانه خيراً ما استطاع (فالأول) ينفعه الإيمان السابق المجرد عن الأعمال لأصل النجاة فلا يخلد في النار وإن دخلها بذنوبه، فالإيمان السابق ينفعه وينفعه الإيمان يومئذ أيضاً لأنه نور على نور ولكن لا تنفعه التوبة عن المعاصي (والثاني) ينفعه إيمانه السابق لأصل نجاته وينفعه ما قدمه من الحسنات لدرجاته وينفعه إيمان يومئذ أيضاً لما مر ولكن لا تنفعه توبة حينئذ من التخليط (والثالث) ينفعه إيمانه السابق لأجل نجاته وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه إيمانه ذلك اليوم أيضاً وينفعه ما يعمله بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه أمثالها.

وهذا التفصيل مما دلت عليه الآية الكريمة وبيّنته الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كسبت في إيمانها خيراً﴾.

من ذلك ما أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) سورة إبراهيم الآية (١٨).

رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها» الآية وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ عشية من العشيات فقال: «يا عباد الله توبوا إلى الله ـ مرات ـ فإنكم توشكون أن تروا الشمس من المغرب فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي العمل وختم الإيمان» (الحديث).

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[1] يقول كسبت في تصديقها عملاً هؤلاء أهل القبلة، وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيراً فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها، وإن عملت قبل الآية خيراً قبل منها.

ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق مالك بن يخامر السكسكي عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «الهجرة خصلتان إحداهما أن تهجر السيئات والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبل التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل».

وأخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الأرض وخويصة أحدكم وأمر العامة».

قال قتادة خويصة أحدكم الموت، وأمر العامة الساعة.

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «خلق الله باباً للتوبة ـ وفيه ـ فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ـ إلى أن قال ـ فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٨).

ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كانت قبل ذلك فإنه يجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك فذلك قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ـ إلى قوله ـ خَيْراً﴾ الحديث بطوله.

وهذا الحديث وإن كان سنده واهياً كما قاله بعض الحفاظ لكن له شواهد من الأحاديث الصحاح، ويوضحه ما نقله العلامة المدقق ابن هشام في مغني اللبيب عن ابن عطية وابن الحاجب إن الآية من حذف المعطوف أي لا ينفع نفساً إيمانها وكسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، والآية من اللف والنشر ومفهومه أنها إذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل للسابق وهو المطلوب.

فيتلخص من مجموع الأحاديث المذكورة وما في معناها مما هو مسطر في الدر المنثور للحافظ جلال الدين السيوطي أن الشمس إذا طلعت من مغربها لا ينفع الايمان المحدث في ذلك اليوم لمن كان كافراً أو مشركاً، ولا التوبة المحدثة فيه لمن كان مخلطاً، ولا أعمال البر المحدثة فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم، وأما من كان قبل ذلك اليوم مؤمناً فإن الإيمان المجرد عن الأعمال الصالحة السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه لأجل نجاته، وإيمانه المتجدد يومئذ ينفعه أيضاً لأنه نور على نور وإن لم تقبل توبته عن سيئاته، وإن الإيمان السابق مع التخليط ينفعه مع ما تقدم له من الأعمال الصالحة التي كان يعملها وإنما الممنوع قبول توبته عن تخليطه وقبول ما لم يكن متصفاً به من الإيمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم.

والضابط أن كل بر محدث يكون السبب في إحداثه رؤية الآية ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع، سواء كان من الأصول أو الفروع، وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملاً به قبل رؤية الآية ينفع.

وهذا التحقيق نبه على مثله الإمام المحقق العلامة ابن مفلح في الآداب الكبرى قال في قوله ﷺ: «إذا طلعت الشمس من مغربها طبع الله عز وجل على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل».

ليس المراد بهذا الخبر ترك ما كان يعمله من الفرائض أي وكذا من النوافل قبل طلوع الشمس من المغرب فيجب الإتيان بما كان يعمله من الفرائض قبل ذلك

وينفعه ما يأتي به من الإيمان الذي كان يأتي به قبل ذلك وكفى الناس العمل أي عملاً لم يكونوا يفعلونه.

لا ينقطع التكليف خلافاً للمعتزلة:

قال وقد ذكر ابن حامد أن المذهب لا ينقطع التكليف خلافاً للمعتزلة.

وحكى ابن الجوزي عن الضحاك أن من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية.

قال ابن مفلح فالعمل الصالح الذي سببه ظهور الآية لا ينفع لأن الآية اضطرته إليه، وأما ما كان يعمله فظهور الآية لا تأثير لها فيه فبقي الحكم كما قبل الآية.

ونبه على مثله السيد محمد البرزنجي في كتابه الإشاعة في أشراط الساعة وشيخ مشايخنا العلامة إبراهيم الكوراني في شرح منظومة الشيخ محمد المقدسي القشاشي.

وأشار إليه سابقاً الحافظ ابن حجر في فتح الباري والحافظ السيوطي في الدر المنثور وغيرهم من المحققين فهو المعول عليه دون ما زعمه بعض المتحذلقين وبالله التوفيق.

إذا فهمت ذلك فاعلم أنه قد ورد في طلوع الشمس من مغربها عدة أحاديث منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال حفظت من رسول الله ﷺ أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً منها.

وفيه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانهم لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

ورواه البخاري أيضاً وفيه «حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها» (الحديث).

وأخرج مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال يوماً: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا الله ورسوله أعلم قـال «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك. فتصبح طالعة من مغربها . فقال عليه السلام ـ أتدرون متى ذلكم؟ حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل» (الآية).

وأخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد وعبد الرزاق والستة غير الترمـذي وابـن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها» ثم قرأ الآية. وتقدم قريباً.

وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: «طول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين» وهو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «قدر ثلاث ليال».

وعند البيهقي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً «قدر ليلتين أو ثلاث فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرون إلا قد قامت النجوم مكانها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقص فيضطجعون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهـم الليل فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فيفزع الناس وهاج بعضهم في بعض فقالوا ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينظرون طلوعها من المشرق إذ هي طالعـة عليهـم من مغربها فيضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها».

وأخرج ابن مردويه وغيره من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير تطوى الدواوين وتجف الأقلام

لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» .

وعند البيهقي «فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالأمس» .

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «لا تزال الشمس تجري من مشرقها إلى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن لهما فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس وهم بقية أهل الأرض وحملة القرآن يقرأ كل رجل منهم ورده في تلك الليلة حتى إذا فرغ منه نظر فإذا ليلته على حالها فيعود ويقرأ ورده فإذا فرغ نظر فإذا ليلته على حالها فلا يعرف ذلك إلا حملة القرآن فينادي بعضهم بعضاً فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا منه فإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكي الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله والغافلون في غفلاتهم إذ نادى منادٍ ألا إن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر طلعا من مغاربهما فنظر الناس فإذا بهما أسودان كالعكمين لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾(1) قوله كالعكمين تثنية عكم بالكسر وهو الغرارة أي كالغرارتين العظيمتين، ومنه يقال لمن شد الغرائر على الجمل: العكام، وفي حديث أم زرع «عكومها رداح» يعني غرائرها التي تكون فيها الأمتعة وغيرها « فيرتفعان أي الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقاً ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فأما الصالحون والأبرار فينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما

---

(1) سورة القيامة الآية (9).

فردهما إلى المغرب فلا يغربهما في مغاربهما أي مغارب طلوعهما ذلك اليوم وهي جهة المشرق ولكن يغربهما في مغاربهما اللذين في باب التوبة، فإن الله تعالى خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع إلى الله فيغربهما جبريل في ذلك ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان يجري لهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ (الآية) فقال: أبي بن كعب يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا؟ قال إن الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك، وأما الناس فإنهم حيث رأوا ما رأوا من تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا فيعمرونها ويجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار ويبنون فيها البنيان، وأما الدنيا فلو أنتج رجل مهراً لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور».

وقد ذكر نحو ذلك القرطبي في تذكرته عن الثعلبي وغيره من المفسرين عن أبي هريرة.

تنبيهات ـ الأول في حال الناس بعد طلوع الشمس من مغربها:

قد ورد عن ابن عمرو رضي الله عنهما: يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة.

وروى عبد بن حميد عنه: يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة.

وأخرج نعيم عن ابن عمرو: لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى ابن مريم وبعد الدجال.

وروى عبد بن حميد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما للآخر متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها».

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه: الآيات كلها في ثمانية أشهر.

وعن أبي العالية: في ستة أشهر. ومر: «لو أن رجلاً نتج مهراً لم يركبه حتى ينفخ في الصور».

وجمع الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتبعه السخاوي في القناعة والبرزنجي في الإشاعة بما حاصله أن المدة كما في الروايات الأولى عشرون ومائة سنة لكنها تمر مراً سريعاً كمقدار عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر» الحديث وفيه اليوم كالساعة.

وعلى هذا يكون تقارب الزمان وتقاصر الأيام مرتين مرة زمن الدجال ثم ترجع بركة الأرض وطول الأيام إلى حالها، ثم تتناقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام إلى أن تصير في آخر الزمان إلى ما ذكر.

قلت وأحسن من هذا ما ذكره الطيبي أن الآيات على قسمين قسم يدل على قرب الساعة وقسم يدل على حصولها، وإن من الأول الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج والخسوف، ومن الثاني الدخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس، فيكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الأول والقصيرة باعتبار الثاني لكن يعكر عليه بأن الخبر ناطق بأن العشرين ومائة سنة بعد طلوع الشمس من مغربها ولهذا مال الكوراني إلى الأول أو أن خبر عشرين ومائة سنة غير صحيح، واستدل لعدم صحة ذلك مع ما مر بقول السخاوي ثبت أن الآيات العظام مثل السلك إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة.

وفي مرسل لأبي العالية أن بين أول الآيات وآخرها ستة أشهر يتتابعن كتتابع الخرزات في النظام. وتقدم قريباً.. ويشهد لتواليها خرزات منظومات في سلك إذا انقطع السلك تبع بعضها بعضاً.

وفي رواية بين يدي الساعة عشر آيات كالنظم في الخيط إذا سقط منها واحدة توالت.

الثاني ـ ما جاء أن طلوعها من مغربها أول الساعات وما يخالفه والنظر في ذلك:

في حديث مسلم أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها.

وقد استشكل بأنه لو كان كذلك لم ينفع الكفار إيمانها بعد نزول عيسى عليه السلام ولا الفساق توبتهم لانغلاق باب التوبة، وقد جاء النص بأنه ينفعهم ذلك جزماً وإلا لما صار الدين واحداً ولا كان في نزوله كبير فائدة، وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك والجمع بين الأحاديث، وحاصل ذلك أنه أجيب بجوابين أحدهما للحافظ البيهقي قال إن كان في علم الله تعالى أن طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها فإذا انقرضوا وتطاول الزمن وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليف الإيمان بالغيب، قال وإن كان في علم الله تعالى أن طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أخر غير الدجال ونزول عيسى ـ يعني وخروج المهدي.

قال العلامة الشيخ مرعي عن الأخير هو المعتمد لما مر من أن باب التوبة يغلق من حين طلوع الشمس من مغربها إلى يوم القيامة.

الجواب الثاني أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، وأما خروج الدابة فإنه يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

قال الحاكم أبو عبد الله الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابـة في ذلك اليوم أو يقرب منه والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغـلاق باب التوبة.

قال العلامة الشيخ مرعي وهذا كلام في غاية التحقيق.

قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس من مغربهـا أن إبـراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال للنمرود: ﴿فإنَّ اللهَ يأْتي بِالشَّمْس مِنَ المَشرِق فأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِب فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ﴾[1] وأن السحـرة والمنجمـين عن آخرهـم ينـكرون ذلك ويقولون هو غير كائن أطلعها الله تعالى يوماً من المغرب ليرى المنكرين عظيم قدرته وباهـر حكمته وإن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق أو المغـرب أو لا ولا.

ترتيب الآيات:

وقال الحليمي من الشافعية: أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها.

(قلت) والذي يظهر والله أعلم أن أول الآيات خروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها ويحتمل أن طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريباً منها.

وهذا هو النسق الذي مشينا عليه واخترناه والله أعلم. وأما خروج السفياني فإنه وإن كان قبل خروج المهدي إلا أنه لم يعد خروجه آية وإنما هو علامة لخروج المهدي والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

الثالث ـ في طي الدواوين وجفاف الأقلام:

وقد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند ابن مردويه وغيره أن الدواوين تطوى والأقلام تجف ولا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة. وفي كلام بعضهم ولا يكتب عمل بعد ذلك وإنهم إذا عملوا عملاً فأجسامهم تشهد عليهم كما ورد عن عائشة رضي الله عنها: إذا خرجت أول الآيات تعني طلوع الشمس من المغرب طرحت الأقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال.

رواه عبد بن حميد والطبري بسند صحيح.

وعند نعيم بن حماد عن ابن حماد عن ابن عمرو فيناديهم مناد: يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم، ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة وجفت الأقلام وطويت الصحف.

وروي من طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة: إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملاً.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: الآية التي تختم الأعمال بها طلوع الشمس من مغربها.

فهذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أنه إذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ولا يختص ذلك بيوم طلوعها بل يمتد إلى يوم القيامة خلافاً لمن زعم من العلماء إنه إنما يمتنع قبول الإيمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب أي في تلك الحالة، قالوا وأما من تاب بعد ذلك أو أسلم قبل ذلك منه.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما ملخصه:

الذي دلت عليه الأحاديث الثابتة الصحاح والحسان أن قبول التوبة ملغياً بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها إنها بعد ذلك لا تقبل بل قد جاء في بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الإمام أحمد والطبري والطبراني عن مالك بن يخامر

ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو. رفعوه: لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل.

وقد مر من الأخبار والآثار ما يفيد ذلك إفادة صريحة لا تحتمل التأويل، ويؤيد ذلك ما يأتي من أن إبليس يخر ساجداً وأن الدابة تقتله فإنه لا يموت إلا عند الفراغ من العمل وبالله التوفيق.

دابة الأرض

خروج دابة الأرض وإليها أشار بقوله: «كذات أجياد على المشهور».

«كذات» أي صاحبة «أجياد» وأجياد كما في القاموس اسم الأرض بمكة أو جبل بها قال سمي بذلك لكونه موضع خيل تبع. انتهى.

قلت وفيه نظر فإن تسميته بأجياد متقدمة على تبع وخيله ففي تفسير القرطبي ورواه الحكيم الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أذن الله لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت، قال الله تبارك اسمه إني معطيكما كنزاً ادخرته لكما ثم أوحى إلى إسماعيل أن اخرج إلى أجياد فادع يأتك الكنز فخرج إلى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس إلا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها له.

وفي حياة الحيوان للدميري أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام ولذلك سميت العراب وكانت قبل ذلك وحشاً كسائر الوحوش فلما أذن الله تعالى إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل إني معطيكما كنزاً ادخرته لكما ثم أوحى الله عز وجل إلى إسماعيل (الحديث) وفيه ولذلك قال نبيناﷺ «اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل».

اختلاف المنقول في محل خروجها وما قيل من تكرره:

قلت ولعل تسمية المحل المذكور لمجيء الخيل الجياد إليه مجيبة سيدنا

إسماعيل عليه السلام ويقال له جياد أيضاً بغير ألف قبل الجيم وقوله «على» القول «المشهور» من إضافتها إلى أجياد لكونها تخرج منه ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «تخرج دابة الأرض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أنه أراه النبي ﷺ المكان الذي تخرج منه الدابة.

وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بئس الشعب شعب أجياد» قالها مرتين أو ثلاثاً قالوا وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين» رواه الطبراني في الأوسط.

وفي حديث بريدة رضي الله عنه قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا بأرض يابسة حولها رمل، فقال ﷺ: «تخرج الدابة من هذا الموضع» والحاصل أن في المحل الذي تخرج منه الدابة أقوالاً من أشهرها أجياد كما أشرنا إليه.

قال الحافظ السخاوي في القناعة وخروجها في آخر الزمان من مكة أما من صدع الصفا وبه جزم غير واحد أو من المروة أو من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لوط. انتهى.

وقيل بل أول خروجها من أقصى اليمن، وهذا أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي الطفيل عن أبي سريحة عن النبي ﷺ قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر تخرج في أول خرجة في أقصى اليمن منتشراً ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية ـ يعني مكة، ثم تمكث زماناً طويلاً تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية، ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله ـ يعني المسجد الحرام ـ لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد من الركن الأسود وباب بني مخزوم فيرفض الناس عنها وتثبت عصابة من المسلمين عرفوا إنهم لن يعجزوا الله فتنفض عن رأسها التراب فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب الدرية» (الحديث).

وقد جمع بعضهم بين الروايات بأن للدابة ثلاث خرجات ففي بعض خرجاتها تخرج من مدينة قوم لوط ويصدق عليها إنها من أقصى البادية، وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة ويصدق عليها إنها من وراء مكة وإنها من اليمن لأن الحجاز يمانية ومن ثم قيل الكعبة يمانية، والمرة الثالثة تخرج من مكة وهي من كبرها وعظم جثتها وطولها يمكن أن تخرج من بين الصفا والمروة وأجياد فإنها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحينئذ يصدق عليها أنها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياد ومن المسجد ومن البادية التي بقرب مكة كما في حديث بريدة.

وجمع بعضهم أيضاً بوجه آخر وهو أنها تخرج من جميع تلك الأماكن في آن واحد خرقاً للعادة في صور متباينة على أنه ورد في رواية كما في حياة الحيوان أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الأرض فليست بواحدة فيكون قوله دابة اسم جنس.

وذكر الكوراني أنه حيث ورد في المرفوع لها ثلاث خرجات من ثلاث محلات، ومن المذكور في الأصول أن العدد لا مفهوم له ومن ثم قال أهل الأصول: والتخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص، فجاز أن يكون لها أكثر من ثلاث خرجات كل خرجة من محل فيصح خروجها من كل محل ذكروه، وكذلك الاختلاف في طولها وغيره فإن الأقل لا ينافي الأكثر بناء على أن العدد لا مفهوم له. انتهى.

وورد أن خروجها ليلة جمع والناس سائرون إلى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه، وقيل تخرج من الحجر، وقيل من أرض الطائف، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب.

خروجها ثابت بالكتاب والسنة وصفتها وعملها:

إذا علمت ذلك فخروج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُم دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُم أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُون﴾[1].

(1) سورة النمل الآية (٨٢).

وأما السنة فكثيرة منها ما في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «دابة الأرض طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «تخرج دابة الأرض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم».

وفي حديث حذيفة يرفعه «أول ما يبدو منها رأسها معلمة ذات وبر وريش».

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها.

وروي فلا يخرج إلا رأسها فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب.

وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير.

وقال ابن جرير: رأسها رأس الثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إبل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب تيس، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام.

وقال كعب صوتها صوت حمار.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر».

وأخرج الإمام أحمد أيضاً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون فيكم ثم يشتري الرجل الدابة فيقول ممن اشتريت فيقول من الرجل المخطم».

وقال ابن عباس رضي الله عنه إن لها عنقاً مشرفاً أي طويلاً يراها من بالمشرق

كما يراها من بالمغرب، ولها وجه كوجه الإنسان، ومنقار كمنقار الطير، ذات وبر وزغب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، إنها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفلها من كل أمة سيمة وسيماها من هذه الأمة أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين وتكلمهم بكلامهم، (قوله) ذات زغب أي عليها زغب وهو صغار الريش أول ما يطلع كما في النهاية، والأيل بفتح الهمزة وكسر التحتية مشددة وبضم وفتح (الواو وكسر) العين وهو تيس الجبل والسيمة العلامة.

يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قيل له إن ناساً يزعمون أنك دابة الأرض فقال: والله إن لدابة الأرض ريشاً وزغباً وما لي ريش ولا زغب، وإن لها حافراً وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً وما خرج ثلثاها.

قال العلماء رحمهم الله تعالى كما في الأحاديث إن مع الدابة عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام وتنادي بأعلى صوتها (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وتسم الناس المؤمن والكافر فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه.

وفي رواية فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه، وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه. وفي أخرى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقولون لهذا يا مؤمن ولهذا يا كافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار يعرف المؤمن الكافر وبالعكس حتى أن المؤمن ليقول للكافر يا كافر اقض حقي، وتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذها، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها، ثم المغرب واليمن كذلك.

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يلبثون ـ يعني الناس بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها، وجفت الأقلام وطويت الصحف ولا يقبل لأحد توبة، ويخر إبليس ساجداً ينادي إلهي مرني أسجد لمن شئت، وتجتمع إليه الشياطين تقول يا سيدنا إلى من نفزع فيقول إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث فأنظرني إلى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم، وتصير الشياطين ظاهرة في الأرض حتى يقول الرجل هذا قريني الذي كان يغويني فالحمد لله الذي أخزاه.

قال العلماء في سؤال إبليس أن ينظر ليوم البعث مكر منه وخداع وجهل برب العالمين فإنه إنما حاول أن لا يذوق الموت لأن يوم البعث ليس بيوم موت وإنما هو يوم بعث ونشور وإحياء وبعثرة لمن في القبور فإذا كان الأمر كذلك فكيف يقبض إذ ذاك إبليس أو غيره وإنما ذلك يوم الجزاء فأجابه العليم الحكيم بأنه منظر إلى يوم الوقت المعلوم.

وهذا أصح من قول كعب الأحبار بأن إبليس إنما يذوق الموت يوم الحشر كما ذكره الكسائي في العرائس وبالله التوفيق.

فائدة ـ قيل إنها الجساسة وقيل إنها الثعبان الذي كان ببئر الكعبة:

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن الدابة هي الجساسة المذكورة في قصة تميم الداري رضي الله عنه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها الثعبان الذي كان في بئر الكعبة فاختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام وإن الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون.

وفي التمهيد لابن عبد البر عن عمرو بن دينار أنه رمي بها في أجياد فالتقمتها الأرض فهي الدابة التي تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفا.

وفي حياة الحيوان جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنها أي الجساسة دابة الأرض المذكورة في القرآن قال وهي بجزيرة بحر القلـزم والله أعلم.

خروج نار من قعر عدن أو غيره:

خروج الناس التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم وإليها أشار بقوله:

«وآخر الآيات حشر النار كما أتى في محكم الأخبار»

«وآخر الآيات» العظام والعلامات الجسام «حشر النار» للناس من المشرق إلى المغرب ومن اليمن إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو أرض الشام «كما أتى» ذلك مصرحاً به «في محكم الأخبار» وصحيح الآثار كما ستقف على جملة من ذلك. فإن قلت في قولك وآخر الآيات مصادمة للحديث الصحيح والخبر الثابت الصريح عن سيد البشر وخلاصة العالم وأصدق من أخبر وصفوة بني آدم نبينا محمدﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه والنسائي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب» (الحديث).

قلت تقدم في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري أنهﷺ قال: «لن تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشرآيات» فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، قال «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي لفظ أن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات فعدها وفي آخرها نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس.

قال شعبة وأحسنه قال تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا.

رواه مسلم في صحيحه بعدة طرق، ورواه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة.

وقد جمع بعض العلماء بينهما بأن آخرية خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليتها بأنها من أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها من أمور الدنيا. ذكره الحافظ السخاوي.

وذكر غيره من العلماء بأن النار ناران إحداهما تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، والثانية تخرج من اليمن فتطرد الناس إلى المحشر الذي هو أرض الشام، فعل إحدى النارين في أول الآيات والأخرى في آخرها، وحينئذ فلا حاجة إلى الجمع الذي ذكره الحافظ السخاوي، وإن لم يكن في علم الله إلا نار واحدة فجمع السخاوي موجه وعليه فالجمع بين حديث نار تخرج قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس، وفي لفظ تخرج نار من قعر عدن ترحل الناس إلى المحشر، وحديث نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، فبأن يقال إن الشام الذي هو المحشر مغرب بالنسبة إلى المشرق فيكون ابتداء خروجها قعر عدن من اليمن فإذا خرجت انتشرت إلى المشرق فتحشر أهله إلى المغرب الذي هو الشام وهو المحشر، ولفظه أبين بوزن أحمر اسم الملك الذي بناها، وفي نهاية ابن الأثير عدن أبين مدينة معروفة باليمن أضيفت إلى أبين بوزن أبيض وهو رجل من حمير عدن بها أي أقام. انتهى.

وفي القاموس عدن أبين محركة جزيرة باليمن أقام بها، وعدن لاعة قرية بقربه.

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنهما: «ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الأرض لخيار الأرض إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتأكل من تخلف..».

ورواه أبو داود والحاكم وأبو نعيم (قوله) «تقذرهم نفس الله هو من المتشابه والإيمان به واجب كما أخبر لا كما يتوهمه البشر».

وأخرج الإمام أحمد أيضاً والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمرو أيضاً رضي الله عنهما مرفوعاً: «ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس. قالوا يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام» يعني وهو المراد بمهاجر إبراهيم.

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً: «لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير طير الريح والسحاب، حرها بالليل أشد من حرها بالنهار، ولها بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد القاصف هي من رؤوس الخلائق أدنى من العرش. قيل يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ؟ شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه».

وأخرج البغوي والبارودي وابن قانع وابن حبان: «يوشك أن تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الإبل، تسير بالنهار وتقيم بالليل، تغدو وتروح، يقال غدت النار أيها الناس فاغدوا، قالت أيها الناس فقيلوا، راحت النار أيها الناس فروحوا، من أدركته أكلته».

اختلاف المنقول في موضع خروجها والجمع بين الأوجه:

فإذا قيل ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن ومن برهوت ومن حبس سيل؟ فالجواب أنها تخرج أولاً من برهوت ويقال له وادي النار وهو في قعر عدن وعدن على ساحل البحر فالعبارات مآلها واحد وتمر بحبس سيل أيضاً والخطاب لأهل المدينة وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار إليه يكون قبل وصولها إلى المدينة فصح أن يقال لهم تخرج نار من حبس سيل. فإن قيل ما وجه الجمع بين كونها تطير طير الريح والسحاب وتدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، وبين كونها تسير سير بطية الإبل؟ فالجواب أن لها حالات فتارة هكذا وتارة هكذا، وإن ثبت تعدد النار زال أصل الاستشكال. والله أعلم.

تتمة ـ في عموم الكفر آخر الزمان :

ثبت بالسنة الصحيحة أن أهل الأرض يكفرون ويعبدون الأوثان وأنه لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس.

فقد أخرج الإمام أحمد ومسلم من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقي على وجه الأرض أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقولون ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، فيعبدونها وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور». فإن قلت أليس قد ذكرت أن الدابة تقتل إبليس؟ فالجواب أنه ليس في الحديث أن الذي يظهر لهم إبليس بل يجوز أن يكون شيطاناً آخر غير إبليس من ذريته.

وأخرج الإمام أحمد ومسلم أيضاً والترمذي من حديث النواس ابن سمعان «فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر ـ أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار ـ فعليهم تقوم الساعة».

الريح التي تقبض بقية المؤمنين وهل هما ريحان؟

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً عند الحاكم «إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته».

وقد جاءت رواية بأن الريح تأتي من قبل الشام وهنا أنها من قبل اليمن؟ والجواب أنهما ريحان شامية ويمانية.

وأخرج الإمام أحمد بسند قوي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله».

حديث لا تزال طائفة من أمتي والجمع بينه وبين الأحاديث الأخرى:

رواه مسلم بلفظ: «حتى لا يقال في الأرض الله الله». فإن قيل كيف هذا مع ما صح عنهﷺ من قوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة حتى يأتي أمر الله». (فالجواب) هذا غير مصادم للحديث لأن معناه أنهم لا يزالون على الحق حتى تأتيهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها، فأطلق فيه بقاءهم إلى قيام الساعة مريداً أشراطها ودنوها المتناهي في القرب، ومثله قول بعضهم أمر الله هو هبوب تلك الريح الآتي بعد وقوع الآيات العظام التي بعضها قيام الساعة ولا يتخلف عنها إلا شيئاً يسيراً وليس فيهم يعني من يبقى بعد هبوب الريح مؤمن وعليهم تقوم الساعة.

وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك الريح كما في القناعة للحافظ السخاوي.

وفي المستدرك بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ويبعث الله ريحاً طيبة فتتوفى من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير فيبقى من لا خير فيه فيرجعون على دين آبائهم» وفي مرفوع ابن عمرو رضي الله عنهما «لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحاً لا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من خير إلا قبضته ويلحق كل قوم بما كان يعبد آباؤهم في الجاهلية ويبقى عجاج من الناس لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر يتناكحون في الطرق فإذا كان ذلك اشتد غضب الله على أهل الأرض فأقام الساعة».

وفي مستدرك الحاكم من مرفوع أبي هريرة«وحتى تؤخذ المرأة جهاراً نهاراً تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد» وفي لفظ «حتى ينكح أحدكم أمه فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لو نحيتها عن الطريق قليلاً، فذلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم».

قال القرطبي في تذكرته عن بعض العلماء: إذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم

وتقيل حتى يجتمع الخلق بالمحشر الإنس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الأرض وكل ذي روح. ثم ذكر النفخة:

«فكلها صحت بها الأخبار وسطرت آثارها الأخيار»

«فكلها» أي أشراط الساعة المذكورة وعلاماتها المسطورة «صحت بها الأخبار» عن النبي المختار وأصحابه الأبرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار «و» كلها قد «سطرت» أي كتبت وأصل السطر الصف من الشيء والكتاب والشجر وغيره والجمع أسطر وسطور وأسطار، وجمع الجمع أساطير ويطلق السطر أيضاً على الخط والكتابة ويحرك في الكل كما في القاموس «آثارها» مفعول سطرت أي الآثار الدالة عليها والمتضمنة لإثباتها ومجيئها في أوقاتها وعلاماتها المشيرة إلى اقترابها «الأخيار» فاعل سطرت وإنما أنث الفعل لأن الجمع مؤنث في المعنى إذ معناه الجماعة وهو جمع خير وخير ككيس والمؤنثة خيرة، ويجمع خير أيضاً على خيار من غير ألف قبل الخاء المعجمة، وقيل إن المخففة مختصة بما في الجمال والميسم والمشددة في الدين والصلاح.

والخير ضد الشر والأخيار ضد الأشرار. والمراد بهم هنا علماء الأمة من التابعين وتابعيهم وأئمة السلف ومقلديهم.

وقد روى أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والقضاعي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «خيار أمتي علماؤها وخيار علمائها رحماؤها ألا وإن الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً واحداً، ألا وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشي فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدري» وإسناده ضعيف.

وقد عزونا كل قول لقائله وكل حديث لناقله غالباً لنخرج من تبعته. وليعلم من أنعم النظر وأمعن الفكر في ما حررته أنه زبدة ما مخضه المتقدمون وثمرة ما غرسه المحررون وبالله التوفيق.

تنبيهان ـ الأول ما قيل أن الحشر أربعة:

ذكر القرطبي في تذكرته أن الحشر أربع، حشران في الدنيا وحشران في الآخرة فاللذان في الدنيا المذكور في سورة الحشر وهو حشر اليهود إلى الشام قال لهم النبيﷺ اخرجوا قالوا: إلى أين، قال: إلى أرض المحشر ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب.

والحشر الثاني المذكور في أشراط الساعة النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب كما في حديث أنس وعبد الله بن سلام وفي حديث ابن عمرو رضي الله عنهم عن الحاكم مرفوعاً «تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ويكون لها ما سقطمنهم وتخلف وتسوقهم سوق الجمل».

قال الحافظ ابن حجر وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب لأن ابتداء خروجها من عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها والمراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب. أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق.

قال القرطبي: وأما اللذان في الآخرة فحشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعاً، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1] وحشرهم إلى الجنة والنار.

وقال الحافظ ابن حجر عن الأول المذكور في أول سورة الحشر ليس حشراً مستقلاً لأنه إنما وقع لفرقة مستقلة مخصوصة وهذا وقع كثيراً كما وقع لبني أمية حين أخرجهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من المدينة إلى جهة الشام. والجواب عن ذلك بأن المراد ما سمي حشراً على لسان الشارع وقد سمى الله ذلك حشراً.

---

(١) سورة الكهف الآية (٤٧).

الثاني ـ حشر الناس من المشرق إلى المغرب يوم القيامة أم قبله:

اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق إلى المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله؟ فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض إن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة.

وأما الحشر من القبور فهل على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً كما في الصحيحين وغيرهما «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا».

وقال الحكيم الترمذي وأبو حامد الغزالي هو يوم القيامة ويدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما مرفوعاً «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنان على بعير وثلاثة وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا» قال أهل هذا القول إن هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وكُنْتُم أزْوَاجاً ثَلاثَةً﴾[1].

قال الحافظ ابن حجر ويؤيده حديث أبي ذر عند الإمام أحمد والنسائي والبيهقي حدثني الصادق المصدوق إن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وفوج تسحبهم الملائكة (الحديث).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يباين حديث أبي ذر (والجمع) أن الحشر يعبر به عن النشر أيضاً لاتصاله به، وهو أي النشر إخراج الناس من قبورهم كما يأتي فيخرجون حفاة عراة يساقون ويجمعون إلى الموقف للحساب، ثم يحشر المتقون ركباناً على الإبل والمجرمون على وجوههم.

وقال بعضهم يخرجون من القبور على ما في حديث أبي هريرة وإن الحشر إذا أطلق يراد به شرعاً الحشر من القبور ما لم يخصه دليل «وأيضاً» التقييم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر إلى أرض الشام لأن المهاجر لا بد أن يكون راغباً أو راهباً أو جامعاً بين الصفتين «وأيضاً» حشر بقية الناس والجاء النار لهم إلى تلك

---

(١) سورة الواقعة الآية (٧).

الجهة وملازمتها حتى لا تفارقهم قول لم يرد به التوقيف وليس لنا أن نحكم بتسليط النار على أهل الشقوة من غير توقيف «وأيضاً» الحديث يفسر بعضه بعضاً وقد وقع في طريق لحديث أبي هريرة بلفظ ثلثاً على الدواب وثلثاً ينسلون على أقدامهم وثلثاً على وجوههم قال ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سور الواقعة: ﴿وكُنْتُم أزْواجاً ثَلاثَة﴾.

فقوله في الحديث راغبين راهبين يريد عموم المؤمنين المخلطين عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهم أصحاب الميمنة وقوله اثنان على بعير الخ يريد السابقين وهم أفاضل المؤمنين ركباناً وقوله وتحشر بقيتهم النار. يريد أصحاب المشأمة. ويحتمل أن البعير يحمل العشرة دفعة واحدة لأن ذلك يكون من بديع قدرة الله فيقوى على ما يقوى عليه عشرة أبعرة من بعران الدنيا. ويحتمل أن يتعاقبوه. انتهى ملخصاً.

وانتصر القاضي عياض لقول الخطابي والقرطبي بأن حديث أبي هريرة تقيل معهم وتبيت وتصبح وتمسي يؤيدان الحشر في الدنيا إلى الشام لأن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا، وقوله إثنان على بعير إلى عشرة ـ يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض وذلك لقلة الظهر كما في بعض الأحاديث انتهى ملخصاً.

ورجح هذا الطيبي وتعقب ذلك البعض وأجاب عما استدل به بما يطول (ثم قال الطيبي) بعدما انتصر للخطابي والقرطبي وزيف كلام ذلك البعض بما حاصله: ثم رأيت في صحيح البخاري في باب الحشر: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق. فعلمت من ذلك أن الذي ذهب إليه التوربشتي من أن ذلك في الآخرة هو الحق الذي لا محيد عنه. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد نقله ما تقدم عن الطيبي قلت لم أقف في شيء من طرق الحديث الذي خرجه البخاري على لفظ يوم القيامة في صحيحه ولا في غيره وكذا هو عند مسلم والإسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة.

ثم اختار هو إنه يتعين كون ذلك في الدنيا لما وقع فيه إن الظهر يقل لما يلقي عليه من الآفة وإن الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة فإن ذلك ظاهر جداً في أنه من أحوال الدنيا.

قال في الإشاعة فثبت أن الحق أن النار قبل يوم القيامة قلت وهو كما قال وبالله التوفيق.

تم بحمد الله

محتويات الكتاب

